الإسلام وطن

أسسها

العارف بالله

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

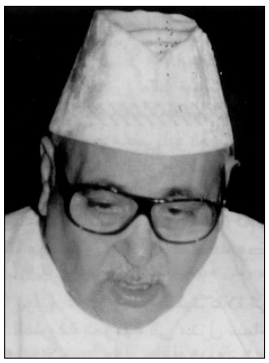

تصدرها

مشيخة الطريقة العزمية
بجمهورية مصر غرة كل شهر عربي
ترخيص المجلس الأعلى للصحافة
١٩٨٧/٢/٨م

رئيس مجلس الإدارة

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

نائب رئيس مجلس الإدارة

نائب عام الطريقة العزمية

السيد أحمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

مدير التحرير والمشرف العام

الدكتور عبد الحليم العزمي

رئيس التحرير

محمد الشندويلي

مستشار التحرير

الأستاذ سميح محمود قنديل

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

* **الافتتاحية: هذا ديننا وحال أمتنا [٤]..**
بقلم شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ٤
* **دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك (٦)..** الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ٨
* **الإنسان خليفة الله في الأرض (١٣)..**
بقلم نائب عام الطريقة العزمية السيد أحمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ١٢
* **معاوية في الميزان (٤٤)..** المفكر الإسلامي الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ١٤
* **مقام الشوق .. تجليات لصوفية أرضية [الحلقة السادسة والعشرون]..** د. عمار علي حسن ١٦
* **الأشعري والأشعرية (٣١)..** د. محمد الإدريسي الحسني ١٨
* **نصرة النبي المختار في أهل بيته الأطهار (٥٠)..** المستشار رجب عبد السميع وأ. عادل سعد ٢٠
* **شوارق التجلي الصوفي وروافده [٢/٢] ..** أ.د. بليغ حمدي إسماعيل ٢٢
* **أهم الأسباب الوقائية في تقليل الحوادث (١٥) ..** د. جمال أمين ٢٤
* **رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج أعلى من الإنسانية وفوق الملائكية ..** ٢٦
الشيخ إبراهيم أفندي الخطيب
* **قول أنفذ من صول ..** د. عزيز محمود الجندي ٢٩
* **حكم الدين: وليُّ الله تعالى وصفاته ووظيفته [٢/٢]..** الإمام محمد ماضي أبو العزائم ٣٠
* **براعم الإيمان من فيض الحنان (٨)..** المحاسب مصطفى فهيم ٣٢
* **رسائل إلى الله (٤) ..** أ. د. نور الدين أبو لحية ٣٤
* **صواريخ مضادة: الإسراء والمعراج ينصف الصوفية ويكشف ظلمات الوهابية..**
الدكتور عبد الحليم العزمي ٣٦
* **أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله (٣)..** أ. صلاح البيلي ٤٠
* **وجه اختصاص النبي بالمحبة (٤) ..** فضيلة الشيخ علي الجميل ٤٢
* **أسس منهج الإمام أبي العزائم في تقرير عقيدة السلف (١١) ..** د. سامي عوض العسالة ٤٤
* **صرخة في أذن كل مسلم ومسلمة [٢/١]..** محمد الشندويلي ٤٦
* **لماذا اختارت السيدة زينب ﷺ الهجرة إلى أرض مصر؟** ٤٧
* **غاية الإنسان في الحياة بين الإسلام والجاهلية (٩) ..** أ. د. فاروق الدسوقي ٤٨
* **أباطيل الإسلام السياسي (الأسس الفكرية للإرهاب) [٤٥] ..** د. محمد حسيني الحلفاوي ٥٠
* **شرح جوامع الكلم للإمام أبي العزائم ﷺ (الحكمة ١٤٢)..** أ.سميح قنديل ٥٢
* **الفرق بين الإيتاء والإعطاء، وبيان الهداية والتوبة (٢) ..** الشيخ قنديل عبد الهادي ٥٤
* **حين فهم الأولون معنى (الوطن) .. فأنتجوا فكرًا إسلاميًّا مستنيرًا [٢/٢]**
د. رفعت سيد أحمد ٥٦
* **المجتمع العزمي** ٥٨

غـايتـنا

إعادة المجد الذي فقده المسلمون الذي لن يتحقق إلا بعودة الخلافة الإسلامية.
هذه هى الضالة التى ننشدها والمجد الذي فقده المسلمون ونسعى لتجديده.

دعوتنا

أولاً: الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.
ثانياً: الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ.
ثالثاً: الإسلام وطن والمسلمون جميعًا أهله.

شعارنا

الله معبودنا والجهاد خلقنا
والرسول مقصودنا والخلافة غايتنا
والقرآن حجتنا وأبو العزائم إمامنا

الاشتراكات

داخل مصر ١٨٥ جنيه سنويًّا خالصة رسوم البريد.
باقي دول العالم ٧٥ دولارًا سنويًّا خالصة رسوم البريد.

هذا ديننا وحال أمتنا (٤)

الافتتاحية

بدأنا فيما مضى الحديث عن المحاور التي يُهاجم بها محاربو الإسلام المعاصرين من داخل الأمة وخارجها - الدين الإسلامي، بحديثنا عن موقف الإسلام من المرأة، وموقفه من الحرب، وموقفه من الرِّقِّ والعبودية، وفي هذا العدد نستكمل الحديث بالمحور الرابع عن خصوصية الرسول ﷺ .

رابعًا: خصوصية الرسول ﷺ

من أكثر المطاعن التى يتغنى بها أعداء الإسلام فى كل وادٍ: مسألة تعدد زوجات النبى ﷺ، فإنهم لا يتركون فرصة تمر دون أن يصوِّروها للعامة فى صورة منكرة تتنافى مع مقام النبوة، وتتعارض مع الوحي الإلهي، وتناقض تعاليم القرآن، الذى ينهى عن إيتاء الشهوات، والواقع أن هؤلاء كانوا شرًّا ووبالًا على دينهم وعلى كتابهم وعلى عقائدهم، فإنهم أرادوا أن يبنوها فهدموها، وأرادوا أن يقوِّموها فأسقطوها، وأرادوا أن يرفعوها فخفضوها، وأرادوا أن يؤيدوها فخذلوها.

إن هؤلاء ذكروا مسألة تعدد زوجات النبى ﷺ فى غير موضع من كتبهم، وفى كل مرة يسيئوا لخير الأنبياء، ويُعرِّضوا به تعريضًا يستفز غضب الحليم.

وإنى لا أريد أن أجاري هؤلاء ولا أنقل عنهم ما يقولونه فى سيد الرسل الكرام، ولكننى أريد أن أعرض على العقلاء هذا الموضوع، وأبيِّن للناس حقيقة أمره، وأترك لهم الحكم على هؤلاء الذين لا يكادون يفقهون حديثًا.

إنهم يعيبون على النبي ﷺ أنه عدَّد زوجاته، وأحلَّ لنفسه من النساء أكثر مما أحلَّه لأمته، ثم يقولون: إن حُبَّه للنساء دفعه إلى أن يتزوج بزوجة ابنه زيد.. وهم في هذا المقام يهوِّلون تهويلًا عظيمًا، ويقولون: كيف تجتمع الرسالة مع هذا العمل؛ حتى قالوا: إنها وصمة تدل على أن القرآن من عند محمد، وأن المحققين اجتنبوا دينه من أجلها، وقالوا: إن القرآن قد تناقض مع نفسه؛ لأنه قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾(النازعات: ٤٠، ٤١)، ثم أباح تعدد الزوجات لمحمد أكثر من سائر المؤمنين... إلخ.

أما أنا فأقول: إن أعداء الإسلام لبسوا فى هذه المسألة ثياب الملائكة والقديسين، ووقفوا موقف النزاهة والعفة، فهم يعتبرون تعدد الزوجات بالطرق المشروعة المناسبة للبيئات المختلفة نقيصة تنافى النبوة وتنافى الكتب المقدسة.

حسنًا.. فلنمشِ مع هؤلاء الأطهار المزيفين، ولننظر فيما يزعمون نظرًا نزيهًا لنمحص الحق فى هذه المسألة تمحيصًا دقيقًا، بحيث لا يبقى فى نفس أحد منها شيء.. ويمكن حصر كلام هذا الموضوع فى أمرين:

الأمر الأول: أن نثبت بالبرهان القاطع الذى لا يرتاب فيه عاقل أن أعداء الإسلام مضللون فى هذا المقام، متناقضون مع كتبهم تناقضًا صريحًا، وأنهم إما أن يكونوا ملحدين يريدون أن يطعنوا على كتبهم المقدسة وعلى أنبيائهم قبل أن يطعنوا فى كتاب المسلمين ونبيهم، وإما أن يكونوا كاذبين فى طعنهم على سيدنا محمد رسول الله وعلى كتابه وهم يعلمون أنهم كاذبون، ويحاولون بذلك أن يصطادوا من جهلاء المسلمين وضعاف الحُجَّة أحدًا؛ ليبرروا ما يبتزونه من الأموال التى يظفرون بها أجرًا على ذلك.

الأمر الثانى: إثبات أن النبى ﷺ كان أنزه البشر وأعفَّ بنى الإنسان، وأن تعدد زوجاته كان غرضًا لازمًا لا بد منه؛ لأن الدعوة إلى الله يومئذ كانت تقتضي ذلك، كما أنه ﷺ كان مبرءًا من كل نقيصة تخل بمقام النبوة، وكل ما خالف ذلك فهو كذب، ولكنا سنشير إلى بعض ما ذكرته الكتب المقدسة لإظهار تضليلهم، وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم.

إنهم يكفرون بكتبهم

أما الأمر الأول: إنهم يزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة، وبدهي أن الزنا الصريح أشد عيبًا وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب). وأن الزنا بامرأة القائد المخلص وقتله للاستيلاء على امرأته أشد فظاعة ونكرًا من الزنا العادى (كما يكذبون على سيدنا داود). وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرمًا من الزنا بامرأة القائد (كما يكذبون على سيدنا لوط). وأن خيانة الله تعالى وخداعه فى أمر الرسالة (كما يكذبون على سيدنا موسى وهارون وسليمان) أشد جرمًا من الزنا فى ذاته، وهذه الأمور كلها قد ذكرتها التوراة صريحًا، وألصقتها بأنبيائهم العظام، الذين يعبرون عن بعضهم بأنهم أولاد الله الأبكار. وهم مع ذلك يؤمنون بالتوراة، ويؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء - الذين زعموا أنهم ارتكبوا هذه الموبقات والجرائم - من كبار الأنبياء الذين ورث عنهم عيسى مجده؛ لأن من بين هؤلاء يعقوب

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم
شيخ الطريقة العزمية
عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية
رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية

وداود. على أن تعدد الأزواج قد وجد فى الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وغيرهم. فكيف يصح لعاقل (يؤمن بالتوراة المشتملة على ذلك، ويؤمن بالأنبياء الذين وصفتهم التوراة بذلك) أن يعيب القرآن الكريم الذى أباح تعدد الزوجات، ويطعن على سيدنا محمد الذى جمع بين عدد من النساء. ألم يفقه هؤلاء أن طعنهم على كتاب الله ونبى الله بهذه الحالة هو فى الحقيقة طعن على كتابهم المقدس طعنًا مرًّا؛ لأن البداهة تقضى بأن يقول الناس: إذا كان تعدد الأزواج عيبًا ينافى النبوة، فالزنا الصريح والخيانة الواضحة، بل

النبي ﷺ كان أنزه البشر وأعفَّ بنى الإنسان، وأن تعدد زوجاته كان غرضًا لازمًا لا بد منه؛ لأن الدعوة إلى الله يومئذ كانت تقتضي ذلك.

الشرك بالله تعالى ينافى النبوة من باب أولى، فالتوراة التى قالت: إن هؤلاء الجناة أنبياء كاذبة فيما تقوله من نبوتهم. ذلك أمر بدهي لا يخفى على أحد من الناس.

والنتيجة المنطقية البدهية لهذا الكلام هى أنهم يكفرون بالتوراة وبالأنبياء - الذين وصفتهم بأقبح الصفات - كفرانًا صريحًا، أشد من كفرانهم بسيدنا محمد وكتابه الحكيم؛ لأن الموبقات التى رمتهم بها لا يذكر إلى جانبها زواج رجل أجنبى بامرأة آخر طلقها باختياره لا رابطة بينهما إلا أن أحدهما كان يخدم الآخر خدمة خالصة، حتى قال له: إننى ابنك، فدعاه الناس بابنه. فإذا فرضنا أن العقول الإنسانية قد ألغيت واعتبرت هذا عيبًا، فهل يصح أن يكون هذا العيب مماثلًا لعيب الرجل الذى يزنى بابنتيه وهو لوط النبى بعد أن يسكر فيحبلهما وتأتى كل واحدة منهما بولد يكون رأس قبيلة كبيرة منها جدة إلههم؟، أظن أن الذى يقيس هذا بذلك يكون متعسفًا؛ لأننا حتى لو فرضنا أن زيدًا ابن حقيقي لسيدنا محمد ﷺ وكانت شريعته تبيح زواج امرأة الابن، كان زواج امرأته زينب حسنًا، ما كان لهم أن يعترضوا عليه وهم يعلمون أن التوراة قالت: إن يعقوب نبيهم العظيم جمع بين بنتى خاله، وإبراهيم أبو الأنبياء تزوج أخته لأبيه.

إذ لا شك فى أن زواج امرأة الابن بعد طلاقها أهون من زواج الأخت للأب، ومن الجمع بين الأختين.

أظن أن هذا ظاهر لا يخفى على هؤلاء المنصِّرين، ولكنهم يكتمون الحق وهم يعلمون.

ولعل العقلاء يريدون أن يعرفوا تفاصيل الفضائح التى نسبتها توراتهم إلى الأنبياء، وإننى أؤكد لهم أننى أخجل من ذكرها، وأعتقد أن الأنبياء منزهون عنها كل التنزيه ومبرؤون منها براءة تامة، وقد أدخلها فى التوراة المفسدون المحرفون، حملهم عليها الجهل الفاضح؛ لأنه قد يقع من الأنبياء بعض الأمور التى لا نقص فيها فى الواقع، ولكن يتخيلها بعض الجهلة نقائص، فيشيعونها بينهم على وجه مشوه، ثم ينقلها أعداء الأنبياء فى صورة مكبرة قبيحة، ويحشرونها فى الكتب المقدسة

لتكون وصمة عار أبد الآبدين.

نزاهة النبى ﷺ وبراءته من كل عيب

وأما الأمر الثانى: وهو نزاهة النبى ﷺ وبراءته من كل عيب، فهى معروفة لأعدائه قبل أتباعه وأحبابه، فلم يجمع ﷺ بين الزوجات لشهوة فاسدة أو لغرض خسيس، وحاشاه أن تتحكم فيه شهوة وهو المربي العظيم للعالم أجمع، الذى أسس للبشر قواعد الفضائل التى ينبنى عليها إصلاح المجتمع، حاشاه أن ينقاد لشهوة أو يخضع للذة جسمانية، وهو الذى كان يهجر كل اللذات الدنيوية إلى حد أنه يصوم صوم الوصال، بينما كانت الأموال الكثيرة توضع أمامه، فيوزعها على الناس، ولا يأخذ منها قليلًا أو كثيرًا. أنا لا أريد بذلك أن أقول إنه ﷺ كان مجردًا من الشهوة الطبيعية، كلا، فإنه كان أكمل الناس خَلقا وخُلقًا، وأحسنهم صحة وقوة، بل أريد أن أقول: إنه كان يتصرف فى شهواته تصرف الحاكم الحازم الذى لا يسمح لها أن تطغى عليه فى أى حال من الأحوال. فلم يجمع ﷺ بين نساء كثيرات؛ إلا لمصلحة اقتضتها ضرورة الدعوة إلى الله تعالى.

كيف لا، وهو الذى سنَّ لأمته مراقبة الله فى كل حركة وسكون، وعلمهم أن هذه اللذات التى هى فى الواقع من لوازم الأجسام الحساسة، يجب أن يراعى فيها ما يسمو بالإنسان إلى الروحانيات، فلا يصح لهم أن يقصدوها لذاتها مطلقًا، وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه. وقال ﷺ : (لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن، ولا لمالهن فلعله يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا.

فمن يتأمل فى هذين الحديثين يستطيع أن يحكم على غرض الشريعة الإسلامية من الزواج حكمًا جازمًا، وهو أنه لا غرض للإسلام من الزواج إلا تكوين أسرة صالحة تنفع المجتمع، فليس الغرض مجرد قضاء الشهوات البهيمية، كلا، فإن الذى يتبع مقتضى شهوته لا مناص له من التعرض لما عساه أن يترتب عليها من مفاسد وشرور، ألا ترى أن الرجل الذى يجعل همه منحصرًا فى البحث عن امرأة حسناء - لا يعنيه غير ذلك - قد يقع فى شباك امرأة حسناء تذيقه مر العذاب، وتستعمل حسنها فى إذلاله إلى حد أن يخنع لها فى أعز شىء لديه، فيفرط فى عرضه؛ ويكون بذلك ديوثًا لا قيمه له فى الوجود. ومثلها المرأة ذات المال فإن مالها يطغيها فتتسلط عليه وتستذله، وتنقلب حاكمة تتصرف فيه كما تهوى، بل ربما تسخره لقضاء شهوتها الفاسدة من حيث لا يدرى، فلا بد للرجل من أن يجعل همه منحصرًا فى البحث عن خُلق المرأة واستقامتها، ويتأكد من تمسكها بدينها الذى يفرض عليها حقوقًا لزوجها تقتضيها البشرية، كما يفرض لها عليه حقوقًا فإذا توفر فى المرأة ذلك المعنى، كانت هى الزوجة الصالحة فى نظر الشريعة الإسلامية. أما ما وراء ذلك من جمال ومال فهو وإن كان من المرغبات التى تبعث الرجل إلى الاقتران بها، ولكن ينبغى أن يكون الأساس الأول هو الخُلق الفاضل بما فرضه الله على الأزواج من الحقوق والواجبات.

فهل الذى يضع للناس ذلك النظام الخُلقى الكامل تتغلب عليه شهوته فتدفعه إلى أن يجمع بين زوجات كثيرات لمجرد قضاء شهوة؟ كلا، إن ذلك ضرب من ضروب المحال، فلم يتزوج ﷺ إلا لضرورة اقتضتها الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الضرورة بيانها كما يلي:

١- منها: إيجاد لُحمة نسب بين كبار أصحابه الذين بذلوا مهجهم وأموالهم فى سبيل الله تعالى، ومنهم أبو بكر وعمر، وقد كان لرابطة النسب قيمتها عند قبائل العرب، وأقل ما يترتب عليها من الفوائد تخفيف وطأة العداء الشديد بين النبى ﷺ وبين من لم يؤمن من أقارب أصحابه المقربين منه، وفى ذلك من الفوائد ما لا يخفى. على أن المصاهرة قد يترتب عليها ترك العناد والنظر فى البراهين نظرًا صادقًا فيؤمنون، والدليل على ذلك كما تقول إحدى الروايات أن النبى ﷺ عقد على عائشة وبنى بها وهي في سنٍّ مبكرة، فأية شهوة تتصور مع فتاة وهى فى هذه السن؟، خصوصًا أنه قد ثبت أنها يومئذ كانت نحيفة. وقد ثبت فى الصحيح أيضًا أن عمر قال لحفصة: إننى أعلم أن رسول الله ما تزوج بك إلا لأجلي، إذ ليس بك من الجمال ما يبعثه للتزوج بك.

٢- ومنها: تزوجه بعض النسوة لضرورة نشر الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الشريعة الإسلامية قد أبانت كل ما يتعلق بحقوق الاستمتاع وآدابه، كما أبانت مسائل الحيض والنفاس وغيرهما من أحوال النساء، ولا ريب فى أن الأحكام المتعلقة بهذا تحتاج إلى عدد من النساء يباشرها عمليًّا، فلا مناص للنبى ﷺ من أن يعاشر عددًا منهن معاشرة الأزواج لينقلوا عنه شريعته كاملة.

ومنهن أم سلمة وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما. وقد تزوجهما ﷺ وهما فى سن الشيخوخة تقريبًا لا رمق فيهن؛ حتى أن سودة لم تكن صالحة للرجال.

٣- ومنها: تزوجه ﷺ بعض النسوة لغرض هداية قومها للإسلام كما وقع مع جويرية بنت الحارث، فإنه لمَّا تزوج بها أسلم قومها.

٤- ومنها: تزوجه بعض النسوة لضرورة التشريع. وهو ما وقع له مع زينب بنت جحش مطلقة زيد رضي الله عنه، وأعداء الإسلام يعتبرون هذه القصة سُبَّة وعارًا، وقد أعانهم على ذلك بعض المُحدِّثين الذين لا همَّ لهم إلا البحث عن صدق الراوى مع الغفلة عن حاله، فقد نظروا إلى بشريته ﷺ ولم ينظروا إلى عظمة وجلال مقام النبوة. ومع ذلك فإن هذه القصة قد ذكرها الله فى القرآن الكريم، فكل معنى زائد على القرآن ويتعارض معه لا قيمة له أيضًا، وإليك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب:٣٧).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب:٤٠)، وقد كفانا الرد في هذه المسألة الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في كتابه (النجاة في سيرة رسول الله)، حيث فند القضية من كل أوجهها ورد على كل شبهاتها.

حكمة تعدد الزوجات لرسول الله ﷺ

اعتقد معى أنه رسول لجميع الخلق، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه أرسله الله على فترة من الرسل بين جاهلية عمياء، وأمم ظالمة، ومدن فاسقة، وملوك جبابرة، وهو الذى يضع الحرب كما بشر به المسيح الذى قال: ما جئت لأضع حربًا ولكنى جئت لأضع سلامًا، والذى يأتى من بعدى يحصدهم بالسيف، أو كقوله عليه السلام.

وكان الرسل قبل رسول الله ﷺ يبعثون لأممهم فقط، وأرسله الله تعالى للناس كافة، فكان لا بد أن يكون له ﷺ حزب قوى متماسك متحد اتحادًا بكل معنى الكلمة من أوجه الاتحاد كلها: من جهة الدين، ومن جهة الألفة، ومن جهة القرابة، ومن جهة النسب.

فحقق الله تلك الرابطة بالدين وباللغة، فكان يتكلم مع كل قبيلة بلغتها، ثم أكمل الله تلك الرابطة بما أباحه له ﷺ من تعدد الزوجات بوسعة، فتزوج ابنة أبى بكر الصديق وابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وزينب بنت جحش لحكمة إبطال نسبة الابن المتبنى لغير والده، وابنة أبى سفيان، وغيرهن ممن كن سببًا فى تقوية الروابط الدينية بسبب النسب واتصاله. ومن نظر بعين المفكر العالم الحكيم يتحقق أن تعدد الزوجات للنبى ﷺ من علامات النبوة، وأكمل دليل على أنه خاتم الرسل، وأنه المبعوث للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وكيف يخفى على إنسان يعقل البدهي حكمة هذا الحكم؟.

وقد مكث ﷺ راضيًا بزوجة واحدة مدة أربع وعشرين سنة وستة أشهر، وهو فى ريعان الشباب وراحة البدن وصفاء الوقت، ولم يتزوج السيدة عائشة رضي الله عنها والسيدة حفصة وغيرهما، إلا بعد بضع وخمسين سنة من عمره الشريف، وهو فى أعظم أوقات العمل وأصعب آنات الصعوبة، وهو بين جهاد بالسيف أو باليد أو باللسان، وبين تقرير أصول الدين وبيان فروعه، وبين تنظيم الجيوش وتزكية النفوس، حيث إن أنفاسه ﷺ كانت أنفس من النفائس. ومن قرأ تاريخه ﷺ بعد الهجرة يتحقق أنه ﷺ، لم يتزوج واحدة من أمهات المؤمنين بعد الهجرة لشهوة أو رغبة فى لذة، ولم يتزوج قبل الهجرة على التحقيق إلا السيدة خديجة عليها السلام قبل البعثة، ومكثت معه ﷺ راضيًا بها وراضية به ﷺ منذ كان عمره الشريف سبعًا وعشرين سنة إلى نحو الخمسين، فهل القائم بعظائم الأمور الذى يدعو الخلق أجمعين إلى نجاتهم بالرحمة والرأفة والحريص عليهم، المنصب بكليته على الحق، المجاهد بنفسه منفردًا فى سبيل الله إظهارًا لدين الله ومحوًا للضلال والكفر يتلذذ بغير الحق أو يشتغل نفسًا بغيره؟ حاشا أن يخطر على قلب رسول من غير أولى العزم هذا الخاطر، فكيف يخطر على قلب أفضل أولي العزم؟.. إنما هى أعمال لحكمة عالية هى من أكمل الجهاد فى الله سبحانه وتعالى. والعاقل يكتفي بأقل الإشارة، فكيف لا يكتفي بالعبارة؟!

خصوصية الرسول ﷺ

لقد تزوج الرسول ﷺ نساءه قبل أن ينزل القرآن بتحديد الزواج بأربع، فلما نزل لم يؤمر بتطليق، بل نزل القرآن الكريم بالنص على حلّهن له بلا حرج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٠).

إن بقاء أزواجه التسع خصوصية من خصوصياته، وخصوصية لنسائه، كخصوصية وجوب قيام الليل عليه، وخصوصية تحريم الصدقة عليه وعلى آل بيته، وخصوصية نسائه فى مضاعفة العذاب على الفاحشة، ومضاعفة أعمالهن الصالحة بنص القرآن الكريم: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٠، ٣١).

ثم نزل القرآن بتحريم زواجه بغيرهن: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (الأحزاب:٥٢).

وحكمة تحليل أزواجه له فى غاية الكمال والجمال والرحمة والإحسان؛ لأنه لو كلف بتطليق بعض نسائه لوقع هذا الطلاق على النسوة المهاجرات اللاتى ترملن وهن غير مشهورات بجمال، ويكون ذلك خلاف ما كان قد قصد إليه النبى ﷺ حين تزوجهن، كما يكون حطًّا لأقدارهن، وخدشًا لكرامتهن بعد أن شرفهن الله بالانتساب إلى أشرف بيت عرفته البشرية، والاقتران بأشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ولو وقع منه تطليق لكان ذلك منافيًا لخُلقه العظيم، ورحمته ورأفته التى شملت العالمين - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون من المُطلِّقين!!

إلى جانب أن الله عز وجل قد أنشأ صلة الأمومة الشعورية بين أزواج النبى ﷺ وجميع المؤمنين: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(الأحزاب:٦).

ثم حرَّم زوجاته من بعده على المؤمنين، وعدَّ ذلك إيذاء للرسول ﷺ واعتداء على شرف النبوة العظيم، وجعل ذلك أمرًا عظيمًا: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٤).

وفي هذا بيان لمن يعقلون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك

(٦)

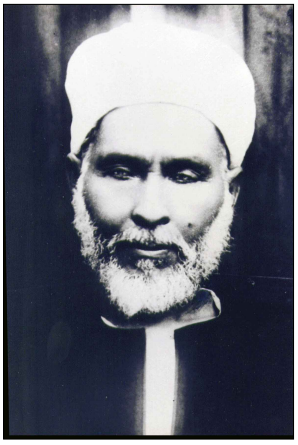

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

التوحيد

تعريف:

التوحيد: هو الشراب الطهور الذى سقاه الله بيد عنايته من سلسبيل محبته إحسانًا منه سبحانه بسابقة الحسنى أزلًا.

التوحيد ومآخذه:

هذا العلم يُتَلَقَّى من القرآن والسنة، ومن أفواه أهل الخشية من الله، الذين واجههم بجماله الْعَلِيِّ مواجهة منحتهم اليقين الحق فرأوا ملكوت السموات والأرض، وليس للعقول - وإن كَمُلَتْ - قوةً تستبين بها حقيقة هذا العلم؛ لأن المطلوب عَلِيٌّ عَظِيمٌ، غيب عن الأرواح، والدليل عليه خَفِيٌّ، وإنما هو الحس يحكم على الأجسام والأعراض، وفى هذا العلم لا يقاس الغائب بالحاضر؛ لأنه منزه عن النظير والشبيه، ومن طلب هذا العلم بالبحث والنظر ارتد خاسئًا وحسيرًا، ولكن لا بد من رياضة النفس بالنظر إلى الكائنات لتنبلج الآيات، وإذا ظهرت الآيات انشرح الصدر، واطمأن القلب، فأقبل العبد سميعًا مطيعًا، مؤمنًا بما يتلى عليه من آيات التوحيد فى القرآن والسنة، وعبارات وإشارات السلف الصالح، والعقل مقهور مخلوق منحه الله القوة التى يدرك بها المصالح، وليس له أن يحكم على القهار القوى، ولا أن يحوم حوالى سواطع أنوار العزة والعظمة والكبرياء، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

والذى دعا علماء الخلف إلى هذه الحرب الطاحنة بينهم، إثباتًا وسلبًا وتشبيهًا وتعطيلًا أمران عظيمان:

الأمر الأول:

إقامة الحجة على أعداء الإسلام من الْمُجَسِّمِينَ كالنصارى واليهود والمجوس والصابئة، والْمُشَبِّهِينَ كالغلاة من الزنادقة والفلاسفة، والشاطحين من الممرورين الذين ارتاضوا على أيدى الجهلاء، وتركوا مجالسة أهل العلم بالله تعالى والعارفين، واعتزلوا الناس اشتغالًا بالذكر والخلوة قبل أن يتعلموا العلم النافع، فَمَثَّلُوا الحق بأوهامهم وَشَبَّهُوهُ بخيالاتهم، ومن دخل الخلوة للرياضة - قبل أن يتلقى العلم النافع والفرق بين التشبيه والتنزيه - هلك بوهمه وخياله.

وكان السلف الصالح لا يُدْخِلُونَ السالك الْخَلْوَةَ وله وَهْمٌ أو خيال فى هذا الجانب.

الأمر الثانى:

أنهم وقفوا عند عقولهم، فخافوا على الله تعالى فنزهوه سبحانه تنزيهًا اقتضى التعطيل، فوقعوا فيما وقع فيه المشبهون، حفظنا الله وإخواننا المؤمنين من الخلط فى هذا المقام، ومنحنا التسليم لله ولرسول الله ﷺ، والاقتداء بسلفنا الصالح.

وقد بيَّنت العقيدة فى كثير من الكتب السابقة بيانًا مرتبًا ترتيبًا على قدر قوة السالك، فوضعت فى كل كتاب عقيدة بحسب المقامات التى هى: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والإيقان. فإن لكل مقامٍ علمًا لا بد منه، وعملًا خاصًا به، كتربية الطفل يفتتح قوته باللبن؛ حتى يقوى على غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ١٦٤).

ولما كانت عبارات السلف الصالح فى هذا العلم، يَقْوَى بها يقين المؤمن، أحببت أن أورد فى هذا المختصر بياناتهم فى التوحيد، ليعلم السالك أن ما يتلقاه من علم التوحيد ليس هو العلم الذى به النجاة، وإنما هو دروس لرياضة النفس، بها تَقْوَى على دفع شُبَهِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ، وهذا العلم إنما يُتَلَقَّى من الكتاب والسنة، والعلماء أهل الخشية من الله تعالى.

كيف نتلقى التوحيد؟

أولاً: الدرس الأول

أول درس من دروس التوحيد تلقته الأرواح من ربها عيانًا وسماعًا منه سبحانه فى يوم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وهذا أول خَمْرٍ أُدِيرَتْ على الأرواح فَأَسْكَرَتْهَا، عاهد الله الأرواح ألا تغفل ولا تنسى، ولكن الأشباح حجبت الأرواح فنسيت.

ثانيًا: الدرس الثانى

يتلقاه المسلم من والديه بالتقليد والتسليم وبهما يسعد إن كانا مُؤْمِنَيْنِ، أو يشقى إن كانا كَافِرَيْنِ، قال ﷺ فى الحديث الطويل: (وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ)[١].

ثالثًا: الدرس الثالث

يتلقاه المسلم بعد البلوغ من العلماء الربانيين والأمناء العارفين الذين حَصَّلُوا هذا العلم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن صحبة صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده، وهم أهل التمكين وحق اليقين بعد عين اليقين.

ومن تلقى هذا العلم من علماء الكلام، أو من الْفِرَقِ الْمُتَفَرِّقَةِ أَهْلِ الرأى والجدل والبحث والدلائل العقلية، لم يفز بالتوحيد بل ارتد بالشكوك فى لَبْسٍ من خلقٍ جديد، أعاذنى الله وإخوانى من أن نتلقى هذا العلم بموازين أهل الكفر بالله من اليونان والرومان والفرس، ونترك ما جاءنا به رسول الله ﷺ من عند الله.

من دخل الخلوة للرياضة – قبل أن يتلقى العلم النافع والفرق بين التشبيه والتنزيه – هلك بوهمه وخياله. وكان السلف الصالح لا يُدْخِلُونَ السالك الْخَلْوَةَ وله وَهْمٌ أو خيال فى هذا الجانب.

رابعًا: الدرس الرابع

يتلقاه المسلم من القرآن والسنة ذوقًا وإلهامًا؛ حتى يبلغ درجةً يقرأ القرآن فيسمعه من رسول الله ﷺ، ويرقى إلى مقام يسمع فيه من رسول الله ﷺ فى حالة استحضار، ولديها يتفضل الله تعالى عليه فَيُقَرِّبَهُ قُرْبًا ينال به حالةً روحانيةً يستظهرُ منها القرآن من الله تعالى.

وهنا نطوى بساط دروس التوحيد فى مقامات التمكين، غيرة للأسرار الْعَلِيَّةِ، ورحمةً بالعقول الإنسانية، ومن طلب المزيد لزم أعتاب المرشد الكامل.

أنواع التوحيد

أولاً: توحيد الإقرار

ومأخذه قوله ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[٢] وهذا الإيمان يحفظ الله به العبد من ذل الكفر، ويحفظ الله به ماله ودمه ولو لم يكن معتقدًا، ومن أَقَرَّ دخل الجنة مهما كانت ذُنُوبَهُ، فالإقرار بالتوحيد نجاةٌ فى الدنيا من كل شدةٍ، وفوزٌ بالجنة يوم القيامة إن غفر الله له ذنوبه، أو رجوعه إلى الجنة إن حاسبه الله عليها.

وقد ورد فى الأثر أن رجلًا أقرَّ بالتوحيد ولم يعمل خيرًا، فلما مات أمر أن يُحْرَقَ وَيُنْشَرَ فى الهواء والبحار، فأمر الله تعالى الهواء أن يحفظ رماده؛ حتى تقوم الساعة، فسأله الله يوم القيامة: لِمَ أحرقت نفسك؟ فقال: خجلًا منك يا ربى لعظيم ذنوبى. فعفا عنه وغفر له، ومن أَقَرَّ بالتوحيد معتقدًا وعمل بشرائع الإسلام دخل الجنة مع الذين يقولون: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة: ١٩).

ثانيًا: توحيد العلم

ومأخذه قوله ﷻ: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (هود: ١٤) وهذا التوحيد ينتج الإيمان بعد وضوح الدلائل المشرقة فى الكائنات وشهود الآيات البيّنات، وصاحب هذا التوحيد مُؤَهَّلٌ للفقه فى دين الله، وذوق أسرار القرآن المجيد وصحبة أبدال رسل الله، بل وصحبة الوارث الفرد الجامع، وإذا عمل هذا الموحد العالم بعلمه، ذاق حلاوة الوحدة فى الكثرة.

ثالثًا: توحيد الشهود

مأخذه قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا

من نظر إلى الجديد لا يذوق حلاوة التوحيد، والموحدون نظروا بعين المحبة الأَزَلَ، أنه على ما هو عليه لم يزل، ولكنهم ميَّزوا بين الحادث والقديم، فلم يلتبس عليهم الأمر بخلق جديد.

إِلَـهَ إِلَّا هُـو الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ﴾ (آل عمـران: ١٨) وهذا التوحيد الشهودى ثمرته الاستقامة وصـاحبه يـتمكن فـى مقـام الإحسـان، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّهُ ثُـمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ..﴾ (فصلت: ٣٠) وهو الواصل المتصل، بل هو نجم لآلِهِ وخلانه يسقى المـاء واللـبن، ويمـنح الفضـل والمنن.

رابعًا: توحيد وجود التوحيد

مأخذه من قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١) ووجود التوحيـد يُـدَارُ فيـه خمـرة المحبـة بالعنايـة، وَتُمْنَحُ فيه حُلَلُ الولاية، وصاحبه جُذِبَ جَذْبَةَ الخلة، طُمِسَتْ بقية آثار بشريته الباطلة، فإذا حفظ السر وقهر الحال اتحد بالمتعـال؛ لأنـه رام فهـام، وكـان فبـان، غـار الحـق عليـه، فأمسكه لديـه، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ عِنـدَ رَبِّـكَ﴾ (الأعـراف: ٢٠٦) وقـال سـبحانه: ﴿لَهُم مَّـا يَشَـاءُونَ عِنـدَ رَبِّهِـمْ﴾ (الشـورى: ٢٢) وهـم القـائمون لله بِالْحُجَّـةِ الْمُوَضِّـحُونَ لِلْمَحَجَّةِ، تجاوزوا الرسوم والجسوم والعلم والعرفـان إلـى مقـام قـاب قوسـين، اتباعًـا للحبيب الأكبر ﷺ، وفـى الأثـر: (أَوْلِيَـائِى تَحْـتَ قِبَـائِى لَا يَعْـرِفُهُمْ غَيْـرِى) إن صـالت عليه صولة الاتحاد، أو غمرته أنوار القـدر، غَشَّـتْهُ العـزة بصـفة البشـر، سـر قولـه: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِى، وَجُعْتُ فَلَـمْ تُطْعِمْنِـى، وَعَرَيْـتُ فَلَـمْ تَكْسُنِى)[٣] وإن فاجأه متكبر بحـرب، أسـرع إليـه الـرب، معنـى قولـه ﷺ فـى الحـديث القدسـى: (مَـنْ آذَى لِـى وَلِيًّـا آذَنْتُـهُ بِالْحَرْبِ)، جمَّله بحلَّة الخلافة، وتوَّجـه بتـاج أبـدال أكمـل مرسـل ﷺ، وقولـه تعـالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَـا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) وقوله تعـالى: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يُبَايِعُونَـكَ إِنَّمَـا يُبَـايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠) وصاحب هذا المقام عَشِقَ فَـاحْتَرَقَ، وَجُـذِبَ فَاصْـطُفِىَ وَصُـوفِىَ، اضمحلت فى وصـفه العلـوم، واندثرت فـى آثاره الرسوم.

خامسًا: محو التفريد بالتوحيد

وهـو النـوع الخـامس لا يسـطر علـى صـفحات الأوراق، ولا يبـاح للعقـول والأفهـام؛ لأنـه محـو التفريـد بالتوحيـد، سِرُّ قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) ولكنه يُشَمُّ شميمًا من إشـارات أهـل التمكـين، فـى حـال اصـطلام صـولة الاصطناع وهى نتف من الإشارات لا تعقل ولا تذاق للنفوس، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهَـا إِلَّا الْعَـالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) ومـن نظـر إلـى الجديـد لا يـذوق حـلاوة التوحيـد، والموحـدون نظـروا بعين المحبة الأَزَلَ، أنه على ما هو عليـه لـم يزل، ولكنهم ميَّزوا بين الحادث والقديم، فلم يلتبس عليهم الأمر بخلق جديد.

حقائق التوحيد

أولاً: توحيد الله نفسه بنفسه

وهـو التوحيـد الـذى لا يطيقـه مخلـوق مقهور، وفـى الأثـر: (كُلُّكُمْ حَمْقَـى فِـى ذَاتِ اللهِ) قـال الصـديق الأكبـر: (الْعَجْـزُ عَـنِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ).

ثانيًا: توحيد من اصطفاهم

توحيد الله الذى يتفضل الله بـه علـى مـن اصـطفاهم مـن أُولِـى العـزم، وعلـى مـن اجتبـاهم مـن رسـله وأنبيائـه علـيهم الصـلاة والسلام، ومن اختطفتهم يد العناية من ورثـة رسـول الله، وأبـدال الرسـل علـيهم الصـلاة والسلام، ممن أظهر أرواحهم بدءًا على بديع جمالـه الْعَلِـيّ، وذكـرهم فـى الكـون بألسـنة الرسـل والورثـة بمـا أظهـرهم عليـه بـدءًا وأعانهم فقبلوا وأقبلوا، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَـدِيثِ كِتَابًـا مُّتَشَـابِهًا مَّثَـانِىَ تَقْشَـعِرُّ مِنْـهُ جُلُـودُ الَّـذِينَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُـمْ ثُـمَّ تَلِـينُ جُلُـودُهُمْ وَقُلُـوبُهُمْ إِلَـى ذِكْـرِ اللَّهِ﴾ (الزمـر: ٢٣).

ثالثًا: توحيد الخلق ربهم بالنظر والاستدلال

ولكـل حقيقـةٍ مـن تلـك الحقـائق شـواهدُ قائمةٌ، ودلائلُ واضحةٌ، وطهـورٌ يُـدَارُ علـى أهل الصفا من الأخيار، فالتوحيد الذى وهبـه الله لعباده مأخذه: ﴿وَذَكِّرْ فَـإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَـعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥) والتوحيـد الـذى يُحَصِّلُهُ الخلق، مأخذه من قوله سبحانه: ﴿قُلِ انظُـرُواْ مَـاذَا فِـى السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١).

الحادث والقديم:

إذا نظر القلب إلى الحادث الجديد صار محجوبًا بعيدًا، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥) وإنما الجديد ليشير للقلب إلى ما فيه من سر الحى القيوم، ونور القادر الخلاق العليم، فإذا تجرد القلب من نظره إلى الجديد، أشرقت أنوار الآيات، وصار للغيب شهيدًا، وإذا تجرد من شهوده ظهرت غرائب القدرة وعجائب الحكمة، فجذبته إلى القادر الحكيم، وأظهر الجديد كله، ليعرف ﷻ بقدرته الباهرة، ويلحظ القلب أنواره الظاهرة، فيشكره العبد ويذكره ولا يكفره، ويطيعه ويعبده ولا يجحده، ومن شغله الجديد الفانى عن القديم الباقى طال اغترابه، ودام عذابه.

تعريف التوحيد:

هو تمييز الحادث من القديم؛ حتى يذوق حلاوة التوحيد، ومن حكم عليه خياله ووهمه، ونظر إلى المادة وأعراضها فنسى الله تعالى فأنساه الله نفسه، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩) ومن نسى نفسه بدءًا ونهايةً؛ تمنى يوم القيامة أن يكون ترابًا.

من عبارات أهل العلم بالله فى التوحيد:

أُوردُهَا عليك فى هذا المختصر، لتعلم أن طريق آل العزائم عَمَلٌ بما كان عليه السلف الصالح وتجديد لعلومهم وأحوالهم أسرارهم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠) ونحن نرشف من رحيق عبارات علماء السلف، ما به تطمئن قلوبنا بأنَّا - والحمد لله - اقتبسنا من المشكاة المحمدية التى اقتبسوا منها.

التوحيد: هو تمييز الحادث من القديم؛ حتى يذوق حلاوة التوحيد، ومن حكم عليه خياله ووهمه، ونظر إلى المادة وأعراضها فنسى الله تعالى فأنساه الله نفسه، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩) ومن نسى نفسه بدءًا ونهايةً؛ تمنى يوم القيامة أن يكون ترابًا.

قال الشاشى الأندلسى - أعاد الله لنا وبنا أنوار الأندلس فى الأندلس، وفى جميع الأمم الإسلامية، وأهلك الأسبان وكل الأمم الظالمة، الذين أفسدوا البلاد وأضلوا العباد بطغيانهم إنه مجيب الدعاء - قال: إن الأولياء يتمندلون أى: (يتروحون) بأسماء الله الحسنى، ما عرفه مَنْ كَيَّفَهُ، وما وَحَّدَهُ مَنْ مَثَّلَهُ، ولا عبده من شَبَّهَهُ. الْمُشَبِّهُ أَعْشَى، وَالْمُعَطِّلُ أَعْمَى، وَالْمُشَبِّهُ مُتَلَوِّثٌ بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المُحِقِّ لبنٌ خالصٌ، وهو التنزيه، انزل من علو التشبيه ولا تَعْلُ قلل أباطيل التعطيل، فالوادى المقدس بين الجبلين(٤).

قال أبو المعالى (رحمه الله): من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مُشَبِّهٌ، ومن سكن إلى النفى المَحْضِ فهو مُعَطِّلٌ، ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو مُوَحِّدٌ، جل رب الأعراض والأجسام عن صفات الأعراض والأجسام، جل ربى عن كل ما اكتنفته لحظات الأفكار والأوهام.

وقال الدقاق (رحمه الله): المريد صاحب وَلَهٌ، لأن المراد بلا شبه، وقيل: مَثَلُهُ الأعلى ليس كمثله شىء.

وقال الجنيد (رحمه الله): أشرف كلمة فى التوحيد قول الصديق: الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. قال القشيرى (رحمة الله عليه): يعنى أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه.

ولغيره: ما عرف الله سوى الله (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

كُلُّ مَا تَرْتَقِى إِلَيْهِ بِوَهْمٍ
مِن جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَثَنَاء
فَالَّذِى أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى
مِنْهُ سُبْحَانَ مُبْدِعُ الأَشْيَاء

سأل المريسى الشافعى ﷺ عن التوحيد بحضرة الرشيد، فقال: أن لا تتوهمه ولا تتهمه، فأبهت.

---

(١) جامع الأحاديث للسيوطى، حديث رقم ١٥٥٨٧، وقال: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٩٧/١، رقم ٨٦). وأخرجه أيضًا: مسلم (٢٠٤٨/٤، رقم ٢٦٥٨)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٠٣/٦، رقم ١١٩٢٢).

(٢) أخرجه النووى فى رياض الصالحين ط٢، سنة ١٩٨٩م – دار الغد العربى بالقاهرة، حديث رقم ١٢٠٨، وقال: رواه البخارى فى أول كتاب الزكاة، ومسلم فى كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٣) أخرجه البخارى فى (الأدب المفرد) ٥١٧ قال: حدَّثنا إسحاق، قال: أخبرنا النضر بن شميل، و(مسلم) ٦٦٤٨ قال: حدثنى محمد بن حاتم ابن ميمون، حدَّثنا بَهْز، و(ابن حِبَّان) ٢٦٩، ٩٤٤.

(٤) لا تَعْلُ أعلى جبل أباطيل التعطيل، أى: الذين عطلوا الأحكام الشرعية أو أنكروا الحساب وهم فئة من الخوارج، والوادى المقدس بين جبلى التنزيه وتنفيذ أحكام الله .

الإنسان خليفة الله في الأرض (١٣)

مقدمة

لما كان الإنسان جوهرة عقد المخلوقات وعجيبة العجائب، وقد جمع الله فيه كل حقائق الوجود مما خلقه في الأرض والسماء وما فيهما، خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته، وجعله خليفة عنه في أرضه، والخليفة في الأرض هو سيد مَن في الأرض ومَن في السماء، وجعل له ملك الأرض مقرًّا للإقامة ومستقرًّا له بعد موته، ثم ينشئه النشأة الثانية، فيمنحه الملك الكبير.

لذلك ابتلاه الله تعالى بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وصرَّفه تصريف الربوبية في المُلْك، فكل ما في المُلْك والمَلَكُوت مسخَّر له بإذنه تعالى.

فإن ذَكَر اللهَ وأطاعه من غير أن يعصيه، وشَكَره فلم يكفره، ووحَّده فلم يجحده؛ تفضل عليه بالملك الكبير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠)، وهذا الملك الكبير هو للإنسان الذي اتبع رسول الله ﷺ حق الاتباع.

وللعقول أن تحتار في الإنسان!، فبينا تراه وروحه الطاهرة سانحة في ملكوت الله الأعلى، مشرفة على قدس العزة والجبروت؛ وإذا بك تراه في أسفل سافلين، أضل من الأنعام وشرًّا من الشياطين، وفوق الأرواح العالية، بل فوق عالين، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥).

لذلك أحببت أن أشرح عجائب قدرة الله في الإنسان، وما سخره الله له من الكائنات، وسبيل نجاته وسعادته، ومهاوى هلاكه وضلاله، وما فصله الإمام المجدِّد السيد محمد ماضي أبو العزائم عن حقيقة الإنسان، والحكمة من إيجاد الخلق، وبدء الحقيقة الإنسانية، وإرسال الرسل، وتأثير الإسلام على الإنسان، ونجاة الإنسان بالمصطفى ﷺ، وما ادعاه أهل الجهالة في خلق الإنسان ورد الإمام أبي العزائم عليهم؛ حتى يتبين للسالك حقيقة خلافة الإنسان عن ربه، ليسلك سبيل السعادة والنجاة، ويتعلق بالإنسان الكامل الذي خلق الله لأجله كلَّ الموجودات ﷺ.

* النبي الأمي، أي المبعوث في أم القرى (مكة).

* بشَّر سيدنا عيسى بـ (أحمد)؛ لأنه أحمد الحامدين لربه.

* ليس المراد بالنبي الأمي عدم معرفته بالقراءة والكتابة والحساب.

بقية: بشارات الأنبياء بسيدنا رسول الله ﷺ

بشارة سيدنا موسى عليه السلام:

ولما بعث الله سيدنا موسى عليه السلام أشرف بروحه عليه السلام على سر القدر أيضًا، فرأى أن الله تفضل على عبد من عباده بأن يمنحه النظر إلى وجهه العلي، فأحب موسى أن يكون هو ذلك العبد، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، فقال الله لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣)، وكانت لرسول الله ﷺ، وقد ذكّره الله تعالى بسيدنا محمد ﷺ باسمه: (أحمد)، وأمره أن يخبر به قومه، كما أخبره بصفات أمته ﷺ، فقال له ربه: (تلكُ أمةُ أحْمَد، فقال: اللهمَّ اجْعَلْنِي مِن أمةِ أحْمَد).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أوحَى اللهُ إلى موسى نبيِّ بني إسرائيل أنه مَن لقيني وهو جاحدٌ بأحمد أدخلتُه النارَ، قال: يا ربِّ ومَن أحمد؟، قال: ما خلقتُ خلقًا أكرم عليّ منه، كتبتُ اسمَه مع اسمي في العرشِ قبل أن أخلُقَ السمواتِ والأرضَ، إن الجنةَ محرمةٌ على جميع خلقي حتى يدخلَها هو وأمتُه، قال: ومن أمتُه؟، قال: الحمادُون، يحمدون صعودًا وهبوطًا وعلى كل حال، يشدُّون أوساطَهم ويطهِّرون أطرافَهم، صائمون بالنهار، رهبانٌ بالليل، أقبلُ منهم اليسير، وأُدخِلُهم الجنةَ بشهادة أن لا إلهَ إلا الله، قال: اجْعَلْني نبي تلك الأمة، قال: نبيُّها منها، قال: اجعلني مِن أمةِ ذلك النبي، قال: استقدمت واستأخر، ولكن سأجمعُ بينك وبينه في دار الجلال) "أبو نعيم في الحلية".

ولما انطلق موسى بوفد بني إسرائيل، كلّمه الله فقال: (إني قد بسطتُ لهم – أي لبني إسرائيل- الأرضَ طهورًا ومساجدَ يصلُّون فيها حيث أدركَتْهُم الصلاة، إلا عند مرحاضٍ أو قبر أو حمّام، وجعلتُ السكينةَ في قلوبهم، وجَعَلْتُهُم يقرأون التوراةَ عن ظهر ألسنتِهم). قال: فذكر ذلك موسى لبني إسرائيل، فقالوا: لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، فاجعلها لنا في تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظرًا، ولا نصلي إلا في الكنيسة! فقال الله:

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ (الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧)، يعنى سيدنا محمدًا ﷺ، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ، اجعلني نبيَّهم! قال: نبيُّهم منهم! قال: رب اجعلني منهم! قال: لن تدركهم! قال: يا ربّ، أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وِفَادَتنا لغيرنا!، فأنزل الله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٩).

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)، قال: أمة محمد ﷺ، وعن قتادة قال: لما قيل: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ تمنّتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطًا بيّنًا وثيقًا فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾، وهو نبيكم ﷺ.

من معاني قوله تعالى: (النَّبِيَّ الأُمِّيَّ):

والمراد بالأمي في قوله تعالى: (النَّبِيَّ الأُمِّيَّ) نسبته إلى أم القرى أي: النبي المبعوث في أم القرى "مكة"، أو النبي المبعوث في الأميين،

السيد أحمد علاء أبو العزائم
نائب عام الطريقة العزمية

والأميون هم الذين لا كتاب لهم كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ (آل عمران: ٢٠) فالذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، والأميون هم مَن لا كتاب لهم من العرب من عبدة الأصنام وعبدة الشمس والكواكب.

وليس المراد بالنبي الأمي عدم معرفته بالقراءة والكتابة والحساب كما ذكر البعض، وكيف لا والذي علمه ربه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، وزاده على ذلك فضلًا فقال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

وفي كتابه: "الإسلام دين الله" يقول الإمام أبو العزائم: "... مع أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء، حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن إتقان تصويرها، كقوله ﷺ: (لاَ تَمُدّوا بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ)، وروي أنه قال لمن كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام: (ألِقِ الدواةَ وحرّف القلمَ، وأقِمِ الباءَ، وَفَرِّق السينَ، ولا تعوِّر الميم، وَحَسِّن الله، وأمِدَّ الرحمنَ، وجَوِّد الرحيمَ)، وهذا وإن لم تصح الرواية أنه كتب عليه الصلاة والسلام، فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة".

- واللِّيقَةُ: صوفة الدواة، أو إذا بُلَّت، ومعنى: أَلِقِ الدواة؛ أي: اجعل نحو حرير أو صوف في المداد، لأن ذلك أولًا: يمنع من اصطدام رأس القلم بقعر الدواة فيحفظ من الكسر والتحريف، وثانيًا: أن القلم لا يَرفع بسبب وجود اللِّيقَة حبرًا كثيرًا، وفي هذا من سهولة الكتابة وتحسينها ونظافتها ما لا يخفى-.

بشارة سيدنا داوود عليه السلام

كما أشرف الحق سبحانه بـرُوح داوود عليه السلام على سر القدر فمكث يعبد الله في محرابه لينال مكانة عيسى عليه السلام من الوحدة، فأرسل الله لداوود ملكين في صورة إنسانين ليقيما عليه الحجة أنه خليفته في أرضه، وأن مقام الوحدة خص بعيسى عليه السلام، وكما رأى مكانة عيسى رأى مكانة سيدنا محمد، فقد جاء في مزامير داوود عليه السلام قول داوود عليه السلام: (إن ربنا عظم محمودًا)، وفي موضع آخر: (إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحًا).

بشارة سيدنا أشعياء عليه السلام

أخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن وهب بن منبه قال: أوحى الله إلى أشعياء: (إني باعث نبيًّا أميًّا أفتح به آذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكل المصطفى المرفوع، الحبيب المتحبب المختار، لا يجزي بالسيئة السيئة؛ ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيمًا بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المثقلة، ويبكي لليتيم في حجر الأرملة، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال بالخنا، لو يمر إلى جنب السراج لم يطفه من سكينته ...).

وجاء في سفر أشعياء قول أشعياء معلنًا باسم سيدنا ﷺ: (إني جعلت أمرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب، اسمك موجود قبل الشمس) "سفر أشعياء الإصحاح:٢١"، كما جاء في سفر أشعيا: (وما أعطيته لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمدًا حديثًا يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية، ويوحدون على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية".

بشارة سيدنا عيسى عليه السلام

أما بشارة سيدنا عيسى عليه السلام فقد نص الله تعالى عليها في القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: (أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام آمِنْ بمحمد ﷺ، ومُر أمتَك أن يؤمنوا به، فلولا محمدٌ ما خلقتُ آدمَ ولا الجنةَ ولا النارَ، ولقد خلقتُ العرشَ على الماء فاضطربَ، فكتبتُ عليه لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ اللهِ فسَكَن).

وإنما بشرهم عيسى بـ (أحمد) ﷺ، وأحمد اسم علم يراد به التفضيل، أي أحمد الحامدين لربه، فالأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمدًا.

وروي أن النبي ﷺ قال: (لي خمسةُ أسماءٍ: أنا محمَّد، وأحمَد، وأنا الماحِي الَّذِي يمحو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ علَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ). "البخاري".

وقد نقل عن المسيح فى إنجيل برنابا التصريح بالبشارة بالنبي ﷺ باسمه وذلك في مواطن عدة من كتابه منها: أن اليهود سألوا المسيح عليه السلام عن اسم النبي المنتظر فقال: "فقال الكاهن حينئذ: ماذا يسمى مسيا، وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟، فأجاب يسوع: إن اسمه المبارك: (محمد)، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله، أرسل لنا رسولك، يا محمد، تعال سريعًا لخلاص العالم".

وأورد أيضًا برنابا حوارًا تمَّ بينه وبين المسيح عليه السلام حين قال: "وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمدٌ رسولُ اللهِ، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله"، وقال عيسى في إنجيل برنابا: "الرسولُ الذي يأتي بعدي أتمنى أن أحملَ حذاءَه".

معاوية في الميزان (٤٤)

المفكر الإسلامي الكبير
المرحوم عباس محمود العقاد

بقية: الأعمال

أمر معاوية زياد ابن أبيه صاحب شرطته أن يخرج بعد صلاة العشاء وانقضاء هزيع من الليل، ثم لا يرى إنسانًا إلا قتله، وجيء إليه يومًا بأعرابي لم يقتله صاحب الشرطة لاشتباه أمره عليه، فسأله زياد: أما سمعت النداء؟، قال الأعرابي: لا والله، قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل، وأقمت لأصبح، ولا علم لي بما كان من الأمير.

قال: أظنك والله صادقًا، ولكن في قتلك صلاح الأمة، وأمر به فضربت عنقه.

ومثل هذا الحكم لا يغتفر ولو كان من معاذيره "ضبط" الأمور وتأمين الناس؛ لأنه يؤمنهم بخوف أشد عليهم من خوف العدوان، ولكنه على هذا لم يصلح للضبط والتأمين إلا فترة لم تطل - ولا يزال - سواء منها على الأمة أن تنقضي في عدوان أهل البغي، أو في نكال السلطان بمثل هذا النكال، ثم انقضت هذه الفترة، فنجمت نواجم الشر ولم تنشب في تلك الأنحاء ناشبة من الفتنة، إلا كان لها جرثومة من تلك السياسة التي تفسد الأمور في زمانها وفيما بعد زمانها.

وكان الناس من حين إلى حين يهربون من شدة زياد، ويتحرمون بجوار العاصمة فيجيرهم معاوية، ولا يكف يد واليه عن غيرهم، وكتب إليه زياد مرة: إن هذا فساد لعملي؛ كلما طلبت رجلًا لجأ إليك وتحرم بك.

فكتب إليه معاوية: "إنه لا ينبغي أن نسوس الناس بسياسة واحدة، فيكون مقامنا مقام رجل واحد، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة فيستريح الناس بيننا"...

على أن زيادًا تحرج أشد الحرج في قضية حُجر بن عَدي، وأرسله إلى معاوية فلم يتحرج معاوية من قتله، ولم يذكر الناس لزياد من جرائر قسوته في حكمه ما ذكروه من جرائر هذه السقطة لمعاوية.

وساءت العقبى من سياسة التفرقة كما ساءت العقبى من سياسة القسوة، فلم تنجم في الدولة ناجمة فتنة إلا كانت جرثومتها في هذه السياسة، وكان حزم معاوية وكانت قدرته في كل هذه الفتن حزمًا لا بد له من تعقيب، وكانت قدرته في أعماله جميعًا قدرة لا بد لها من تقدير.

وجماع الصدق في هذا التقدير أنها كانت قدرة على الشوط القصير والأمد القريب، ولم تكن قط قدرة على الشوط الطويل والأمد البعيد، واستقر الملك لمعاوية على قلق دخيل إلى أن أدركته الوفاة سنة ستين للهجرة، وبطل نصفه قبل وفاته كأنه ضرب من الشلل، وأصابته لوقة، وسقطت أسنانه جميعًا، كأنها من أدواء التخمة التي تعجل إلى الكبد والأسنان، ويبدو أثرها في مرض الجلد واللثة، وكان يخلط في وفاته أحيانًا، ولكنه كان يصحو ساعة بعد ساعة حاضر الذهن صحيح اللسان، فدعا بصاحب شرطته الضحاك بن قيس الفهري، وبمسلم بن عقبة صاحب الأفاعيل المشهورة في حرب أهل المدينة، وقال لهما في أشهر الأسانيد: "بلغا يزيد وصيتي: انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك، فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب عنك، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا لسانك وعيبتك[1]، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: الحسين بن علي، وعبد الله ابن الزبير، وعبد الله بن عمر".

ويقال: إن معاوية ألقى هذه الوصية إلى يزيد، فقال: "يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد قذفته العبادة، فإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به، فاصفح عنه؛ فإن له رحمًا ماسة وحقًّا عظيمًا، وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم، ليس همه إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير".

وشبيه أن تكون هذه الوصية في معناها آخر ما قاله، وخلاصة ما خرج به من تجارب دنياه، فإنها سياسته التي كان يعيدها كما بدأها لو أنه عاد ليبتدئ بها من جديد في أيام يزيد ... معرفة بالرجال وقدرة على التدبير في الشوط القصير، وإحكام العقدة بآلتها في حينها، وبغير نظر إلى آلتها بعد ذلك الحين، ومن ذلك اختياره لإبلاغ الوصية أسوأ من يعين عليها مع الزمن: مسلم ابن عقبة والضحاك بن قيس ... ومع ذاك مدافعته الفتن بالمجاراة والمداراة، فيوصي خليفته بعزل وال في كل يوم ولا يوصيه بالنظر فيما وراء ذلك من سخط على الحاكم، وعجز عن إرضاء المحكوم ... وصية رجل قدير، قدير غاية القدرة في الشوط القصير.

ـ كان الناس من حين إلى حين يهربون من شدة زياد، ويتحرمون بجوار العاصمة فيجيرهم معاوية، ولا يكف يد واليه عن غيرهم، وكتب إليه زياد مرة: إن هذا فساد لعملي؛ كلما طلبت رجلاً لجأ إليك وتحرم بك.

فكتب إليه معاوية: (إنه لا ينبغي أن نسوس الناس بسياسة واحدة، فيكون مقامنا مقام رجل واحد، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة فيستريح الناس بيننا).

على أن زيادًا تحرج أشد الحرج في قضية حُجر بن عَدي، وأرسله إلى معاوية فلم يتحرج معاوية من قتله، ولم يذكر الناس لزياد من جرائر قسوته في حكمه ما ذكروه من جرائر هذه السقطة لمعاوية.

(1) عيبتك: العيبة: وعاء من جلد يكون فيه المتاع، ومن الرجل: موضع سره.

مقام الشوق

تجليات لصوفية أرضية

د. عمار على حسن

كاتب وباحث
في العلوم السياسية بمصر

الحلقة السادسة والعشرون

مقام الإصرار

بعد انتصاف الليل بساعة، وبينما السيقان قد خارت من طيلة الوقوف، والعيون يسكنها الأسى، رأيته مشدودًا إلى صاحب المطبعة في سوار حديدي واحد، والإرهاق الشديد ينضح من وجهه المستدير بعد ثماني ساعات من تحقيق النيابة معه بخصوص كتابه الذي قال فيه الحقيقة، لكن الابتسامة لم تفارق شفتيه، وبان في عينيه صبر وتحمل وعناد وشعور بالارتياح؛ لأن كلمته قد طارت إلى مَن قصدهم، وليكن ما يريد.

قال لي قبل أيام من هذه الواقعة:

ـ كتبي هي معركتي الأخيرة.

أضناني قوله، فقبل سنوات كان يتحدث عن سعيه إلى الإسهام الخلَّاق في تغيير المجتمع، وقبل ثلاثة عقود، وكنت أيامها لا أعرفه بحكم فارق السن بيننا، يتحدث عن "تغيير العالم"، وفى الحالتين لم ينْسَ تغيير المؤسسات بمحاربة فسادها، على قدر استطاعته، وهى مسألة ضمّنها جزءًا من سيرته الذاتية، وبعض كتبه، التي تقول لنا إننا أمام شيخ من نوع جديد، لم يألفه الناس، بل إن ما قيل لهم يجعلهم إن رأوه يقولون في غطرسة:

ـ ليس له شيء في الولاية، فقد لا يكون قد ركع أو سجد في أي يوم.

كنت قد حضرت إلى المحكمة، والشمس في كبد السماء، فلم أجد أحدًا سواه ورفيقه في الاتهام، وستة من المحامين، الذين نسميهم "القضاء الواقف"، فطال وقوفنا ليس في غرفة التحقيق، ولا في ساحة محكمة، إنما في الردهات التي كانت تغصّ بالبشر، المشتبكين مع المحكمة في مخالفات وجنح وجنايات وما يتخللها من ملفات وأوراق ثبوتية ومستندات ووثائق ومخالصات وشهادات وأحكام، لكنهم راحوا ينسحبون تباعًا، تاركين وراءهم ظلامًا يلفنا، خلف الدواليب الضخمة الواقفة عند الزوايا، وفى مكانين مخصصين للصلاة، وإلى جانب الجدران الكالحة، وفى نفوس بعض الذين ساقونا إلى هنا.

اكتملت الحضرة البهية في المحكمة، وتطلع الذاكرون إلى ما بيد النيابة، وانخرطوا في ذكر جديد، إنه كل لفظ يدافعون به عن الحق والحقيقة. الله الله، كانوا كثرة، أتوا متطوعين، ليرفعوا راية الكلمة التي قالها صاحبها في وجه كل من يأكل يخطف القوت من فم الناس.

في هذا رأيت ما يزيد على خمسين كتابًا، ومئات المقالات، جالسة إلى جانب مؤلفها المتهم، على الأريكة المتداعية التي تتمدد في تثاؤب أمام باب غرفة "وكيل

النيابة"، وقد بدا عليها الحزن؛ لأنها عجزت عن أن تشفع لهذا الذي يموت من أجل أن يحيا الناس، فيكتفي مَن ساقوه إلى هذا المكان بمناقشته فيما ورد في كتابه الأخير، بأقلام وألسنة خبراء آخرين يختلفون معه في الرأي، وقد تكون لديهم أرقام غير التي أوردها في كتبه، ولتواجه الحجة الحجة، ويقارع البرهان البرهان، ويحكم الرأي العام على ما هو صواب وما هو خطأ، وهذا أسلم طريق للتعامل مع أهل الرأي والكتابة، لكن الذين أرادوا إيذاءه، لم يتوقفوا طويلًا أمام الذين رهنوا أنفسهم للناس من أولياء لا يعرفون أنفسهم جيدًا، بل بعضهم تاه تحت لافتات أخرى، في اليسار واليمين.

وبينما أنا غارق مع الحاضرين في التفكير بعد أن ألقينا أجسادنا المنهكة إلى حصير بسيط في زاوية للصلاة، وأخذتني سنة من نوم، فرأيت شيخي يتجلى في الردهة الضيقة للمحكمة، ويقول:

ـ سأحبس حتى ترسخ كلمتي.

وسألته:

ـ هل هناك رسوخ مع حبس يا مولانا؟

ابتسم وأجاب:

ـ ألم تقرأ قصة يوسف في القرآن؟

ـ بلى.

قلت في ثقة:

ـ بحبسه تعمدت نبوته، فما بالك بالولاية.

صدر القرار بحبسه أيامًا مع صاحب المطبعة على ذمة التحقيق، فخرجا سويًّا، يدان مقيدتان في سوار من حديد، وأخريان تضربان الهواء الحبيس في الردهات المعتمة، بعد أن أغلقت المحكمة أبوابها، وبات علينا أن نخرج معهما من الجراج الخلفي في انتظار عربة الترحيلات إلى قسم الشرطة، فرأيتهما وأنا أودعهما ليس ذاهبين إلى جحر بغيض إنما خلوة، قد لا يعرفانها جيدًا، فكل محبس في سبيل غاية نبيلة خلوة، فما بالنا بالكلمة.

كان المتصوف الأول يلح عليَّ في أن أعود إلى بيتي، إذ كنت على سفر في الصباح، لكنني تلكأت لأبقى إلى جانبه أطول فترة ممكنة، بينما راح يرتب مع رفيقه ما يلزمهما في الحبس، مستعيدًا خبرته السالفة، حين لفّته جدران الزنازين والحجوزات ثلاث مرات في حياته في أحداث سياسية مشهودة، وكذلك سيلًا من الأسئلة حول كل معلومة أو رقم أو تحليل ورد في كتابه الممنوع نظريًّا، أما عمليًّا فقد كان الكتاب أثناء ساعات التحقيق يتم تحميله بإفراط على شبكة الإنترنت، وتجد سطوره طريقها حثيثًا إلى بعض الفضائيات الخارجية، وهنا

الكاتب الحقيقي مستعد أن يموت من أجل أن تبقى حروفه تحلّق في الهواء الطلق، وتحط في رؤوس الناس، إنهم أولياء يقضون الليل والنهار في البحث عن الحقيقة، لقاء الفتات والخطر الشديد!!

سمعت هاتفًا من بعيد يقول:

ـ إنها كرامة لمن لا يظن كل من حوله أن له كرامة.

طلبت النيابة عرض المتهمَين عليها بعد يومين، وجددت حبسهما خمسة عشر يومًا، وانضم للقضية محامون آخرون، فاتسعت الحضرة البهية، وجرى الذكر على الألسنة، ورحت أقول لكل من يسألني:

ـ ما دفعك إلى الأمام؛ إلا من سجنك.

في يوم خروجه كنت في طرف آخر من الأرض، فهاتفته ليلًا، وقلت له:

ـ كفَّارة.

رد وهو يقهقه قائلًا:

ـ أتمنى طباعة الكتاب قريبًا، وأن تكتب أنت مقدمته.

ابتسمت وقلت في نفسي:

ـ الكاتب الحقيقي مستعد أن يموت من أجل أن تبقى حروفه تحلّق في الهواء الطلق، وتحط في رؤوس الناس، إنهم أولياء يقضون الليل والنهار في البحث عن الحقيقة، لقاء الفتات والخطر الشديد.

ورأيت الحروف تحط على رؤوس الذاكرين في الحضرة الكبرى، التي يقيمها الأقطاب ذات يوم يحددونه هم في الساحة العريضة الطويلة التي تلى المحكمة، ورأيت الناس يهرولون إليها من كل مكان رافعين رؤوسهم نحو الذي قيل عما سرقوه من قوتهم، ورأيته ينظر إلى المشهد المهيب في عجب واستخفاف، لكنه يلين بعد طول تأمل، ويندفع إليه غارقًا في دموعه؛ حتى يتساوى عنده ما سعى إليه وما سيأتي.

نكتب بقلم الرصاص احتراماً لمحاة الرأى الآخر

الأشعري والأشعرية (٣١)

الدكتور
محمد الإدريسى الحسنى
الجمهورية الليبية

بقية: أهم علماء الأشاعرة

بقية: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي:

خاض الغزالي في علوم الفقه والعقيدة وعلم الكلام والفلسفة والباطنية، ثم عَكَف على قراءة ودراسة علوم الصوفية، وصحب الشيخ الفضل بن محمد الفارمذي (الذي كان مقصدًا للصوفية في عصره في نيسابور)، وهو تلميذ أبو القاسم القشيري، فتأثر الغزالي بذلك، ولاحظ على نفسه بعده عن حقيقة الإخلاص لله وعن العلوم الحقيقية النافعة في طريق الآخرة، وشعر أن تدريسه في النظامية مليء بحب الشهرة والعُجْب والمفاسد، عند ذلك عقد العزم على الخروج من بغداد، فكان خروجه منها في ذي القعدة عام ٤٨٨ هـ، وقد ترك أخاه أحمد الغزّالي مكانه في التدريس في النظامية في بغداد. استمر في زهده سواحًا متنقلًا بين الشام وبيت المقدس، وبحسب تاج الدين السبكي وابن الجوزي وغيرهما، فإن الغزالي خرج أولًا من بغداد إلى الحج سنة ٤٨٨ هـ، ثم عاد منها إلى دمشق فدخلها سنة ٤٨٩ هـ، فلبث فيها أيامًا، ثم توجّه إلى القدس، فجاور فيها مدّة، ثم عاد وبقي في دمشق معتكفًا في جامعها، ثم رحل وزار الإسكندرية في مصر، واستمرّ يجول في البلدان ويزور المشَاهد وَيَطوف على المساجد؛ حتى عاد إلى بغداد للتدريس فيها بعد قرابة ١١ سنة من العزلة والتنقّل، فكان ذلك في ذي القعدة سنة ٤٩٩ هـ، ولم يدم طويلًا؛ حتى أكمل رحلته إلى نيسابور ومن ثمّ إلى بلده طوس، وهناك لم يلبث أن استجاب إلى رأي الوزير فخر الملك للتدريس في نظامية نيسابور مكرهًا، فدرّس فيها مدة قليلة، وما لبث أن قُتل فخر الدين الملك على يد الباطنية، من ثمَّ رحل الغزالي مرة أخرى إلى بلده طابران في طوس، وسكن فيها، متخذًا بجوار بيته مدرسة للفقهاء وزاوية للتعبّد والعزلة، ووزّع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة الصوفية والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العِبَادات، كما صحّح قراءة أحاديث صحيح البخاري وصحيح مسلم على يد الشيخ عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الرواسي، وفي وصف

حاله وما طرأ عليه من أحوال يروي بعض الناس حال الغزالي عند دخوله بغداد أول مرة، وحال دخوله إياها بعد رحلته، فعن أبي منصور الرزاز الفقيه، قال: «دخل أبو حامد بغداد، فقوّمنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار. فلمّا تزهد وسافر وعاد إلى بغداد، فقوّمنا ملبوسه خمسة عشر قيراطًا» وعن أنوشروان (وكان وزيرًا للخليفة) أنه زار الغزالي فقال له الغزالي: «زمانك محسوب عليك وأنت كالمستأجر؛ فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي» فخرج أنوشروان وهو يقول: (لا إله إلا الله، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه، كان يلبس الذهب والحرير). بعد أن عاد الغزّالي إلى طوس، لبث فيها بضع سنين، وما لبث أن تُوفي يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ، في "الطابران" في مدينة طوس، ولم يعقب إلا البنات. روى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه "الثبات عند الممات"، عن أحمد أخو الغزالي: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى، وقال: "عليّ بالكفن"، فأخذه وقبّله، ووضعه على عينيه وقال: "سمعًا وطاعة للدخول على الملك"، ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار وقد سأله قبيل الموت بعض أصحابه:، فقالوا له: أوصِ. فقال: «عليكم بالإخلاص» فلم يزل يكررها؛ حتى مات. رحم الله الغزالي سيظل علما من أهم علماء الأمة علمًا وعملًا. قدس الله سره.

القاضي أبو بكر ابن الباقلاني:

قال عنه ابن العماد في شذرات الذهب: القاضى أبو بكر ابن الباقلانى محمد بن الطيب بن محمد بن محمد بن جعفر، البصري، المالكي الأصولي المتكلم، صاحب المصنفات، وأوحد وقته في فنِّه... وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة... وقال ابن الأهدل: سيف السنة القاضى أبو بكر بن الباقلاني الأصولي الأشعري المالكي، مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح، وكان ورعًا لم تحفظ عنه زلة ولا نقيصة وكان باطنه معمورًا بالعبادة والديانة والصيانة. وقال عنه ابن خلكان: القاضي أبو بكر المتكلم المشهور، كان على مذهب أبي الحسن الاشعري، ومؤيدًا اعتقاده، وناصرًا طريقته، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان أوحد زمانه، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب وسمع الحديث.

وكان كثير التطويل في المناظرة، مشهورًا بذلك عند الجماعة. وقال عنه صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات: القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام، سكن بغداد وكان في فنه أوحد زمانه، سمع أبا بكر القطيعي وغيره وكان ثقة عارفًا بالكلام، صنف "الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية".

*** خاض الغزالي في علوم الفقه والعقيدة وعلم الكلام والفلسفة والباطنية، ثم عَكَف على قراءة ودراسة علوم الصوفية.**

*** عن أبي منصور الرزاز الفقيه، قال: «دخل أبو حامد بغداد، فقوّمنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار. فلمّا تزهد وسافر وعاد إلى بغداد، فقوّمنا ملبوسه خمسة عشر قيراطًا».**

*** عن أنوشروان (وكان وزيرًا للخليفة) أنه زار الغزالي فقال له الغزالي: «زمانك محسوب عليك وأنت كالمستأجر؛ فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي» فخرج أنوشروان وهو يقول: (لا إله إلا الله، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه، كان يلبس الذهب والحرير).**

*** القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام، سكن بغداد وكان في فنّه أوحد زمانه.**

بقية: فَضَائِلُ آلِ ٱلْبيتِ فى القُرآنِ الكريمِ وٱلسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

بقية: فضائل آل البيت فى السنة النبوية:

بقية: الفضائل الخاصة:

بقية: ٦- أحفاد النبي ﷺ:

بقية: السيدة زينب بنت عليٍّ:

عقيلة بنى هاشم وبطلة كربلاء رضي الله عنها:

زهدها:

كانت السيدة زينب رضي الله عنها، زاهدة فى الدنيا ونعيمها، قانعة بما قسمه الله تعالى لها، متمسكة بالحكمة القائلة:

"الزاهد من يحب ما يحبه خالقه، ويبغض ما يبغضه خالقه، ويتحرج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها".

وكل ذلك رغم مركزها الكبير وغنى زوجها عبد الله بن جعفر ويساره.

والمعروف أن الزهد عامة، يحصل بثلاثة أشياء: ترك الزينة، وترك الهوى، وترك الدنيا. فالزين: علامة الأول أى الزينة. والهاء: علامة الثانى أى الهوى. والدال: علامة الثالث أى الدنيا.

والزهد دائمًا يلازمه القناعة وهى الرضا بالقسمة، وهو من أغنى مقامات السالكين. ومن أطهر صفات الأنبياء. والمرسلين وعباد الله الصالحين. وبه ينال الإنسان الدرجات الرفيعة. وبه يصل إلى المراتب العالية. وقد ورد فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ: (من أراد أن يؤتيه الله علمًا بغير علم، وهديًا بغير هداية، فليزهد فى الدنيا). وعنه ﷺ أيضًا أنه قال: (من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة فى قلبه فأنطق بها لسانه. وعرفه داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالمًا إلى دار السلام) (وبعض هذا الحديث رواه ابن أبى الدنيا من حديث صفوان بن سليم). وقال ﷺ كذلك: (ازهد فى الدنيا؛ يحبك الله، وازهد فيما بأيدى الناس؛ يحبك الناس). كما قال كذلك: (إذا أراد الله بعبد خيرًا زهده فى

المستشار
رجب عبد السميع

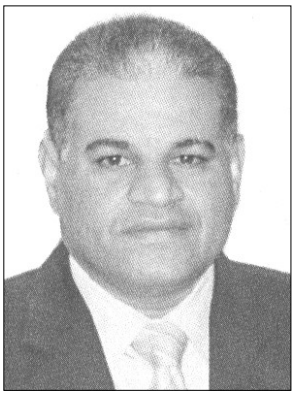

المفكر الصوفي
عادل سعد

نُصْرَةُ النَبِـي الْمُخْتَارِ فِـي أَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهَارِ (٥٠)

الدنيا، ورغبه فى الآخرة، وفقهه فى الدين، وبصره عيوب نفسه، ومن أوتيهن فقد أوتى خيرى الدنيا والآخرة) [أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس].

صبرها وجهادها وشجاعتها:

عاشت السيدة زينب أحداث الفتن التى وقعت فى صفوف المسلمين، فقد احتضنت أباها حين قتل، ورحلت مع أخيها "الحسين" إلى الكوفة، وشهدت يوم كربلاء وكان أشد الأيام عليها حزنًا وألمًا. ففي هذا اليوم – وهو يوم العاشر من شهر المحرم سنة ٦١هـ كانت مع أخيها الحسين تحت الحصار الذي فرضه عليهم عبيد الله بن زياد والي الكوفة، وفى أثناء الليل قال لها أخوها "الحسين": يا زينب إنى رأيت رسول الله، فى المنام فقال لى: إنك تروح إلينا. فاضطربت "زينب" وأدركت أن ذلك يعنى أن الحسين قد حان أجله؛ فقالت: يا ويلتاه، فقال لها الحسين: ليس لك الويل يا أخية! اسكتى يرحمك الله. فأغرورقت عيناها بالدموع وقالت: واثكلاه؛ ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم؛ ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، وحسن أخي فنظر إليها الحسين بعطف وشفقة وقال: يا أخية، اتقِ الله، تعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل

عاشت السيدة زينب أحداث الفتن التى وقعت فى صفوف المسلمين، فقد احتضنت أباها حين قتل، ورحلت مع أخيها "الحسين" إلى الكوفة، وشهدت يوم كربلاء وكان أشد الأيام عليها حزنًا وألمًا.

الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله، الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون. وهو فرد واحد؛ أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. فعزاها بهذا وبمثله، وقال: يا أخية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيبًا، ولا تخمشي عليَّ وجهًا، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا قتلت. وبالفعل استشهد الإمام الحسين رضي الله عنه واستشهد معه ولداها محمد وعون وآخرون من أهل بيتها. فجعلت السيدة زينب تنظر إلى جثثهم وتجمع أشلاءهم يشاركها فى ذلك من بقى معها من النساء والأطفال ودموعها لا تنقطع، وقلبها يكاد ينفطر من شدة الحزن والألم. وحين أخذوها ومن معها إلى قصر ابن زياد بالكوفة، ومرت على أخيها الحسين ثارت أشجانها وأحزانها وأخذت تنادى: يا محمداه .. يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء. مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، فأبكت كل عدو وصديق.

العقيلة فى الكوفة:

لما وصل الركب الكوفة، أدخلوا زينب وأهلها على ابن زياد والى الكوفة وقتئذ، فلما رآها قال لها: الحمد لله الذى فضحكم، كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ فانتفضت قائلة: الحمد الله الذى أكرمنا بمحمد، وطهرنا تطهيرًا، لا كما تقول أنت، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، والذى قتلتهم رجال كُتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد وأمر بقتل علي بن الحسين، فأسرعت عمته زينب واحتضنته وقالت: حسبك يا ابن زياد منا، أما يكفيك ما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحدًا؟ أسألك بالله إن كنت مؤمنًا، إن قتلته اقتلنى معه، فقال ابن زياد: عجبًا للرحم! والله إنى لأظنها ودت لو أنى قتلتها معه، وصاح: دعوا الغلام مع نسائه.

شوارق التجلي الصوفي وروافده

(٢/٢)

العصر الذهبي للثقافة الإسلامية

ما لبث التصوف في انطلاقه من محطة الزهد ليصل إلى محطات أخرى أكثر ارتقاء وازدهار بحكم ثراء الثقافة الإسلامية نفسها ونبوغ الفكر الإسلامي الذي أشرق على العالم كله لاسيما نهايات القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري الذي يعتبر بحق العصر الذهبي للثقافة الإسلامية. فنجد التصوف الإسلامي لم يعتبر نفسه مجرد محض زهد أو تقشف أو حتى ملازمة لقطع الشهوات والرغبات الباهتة الزائلة، بل تحول المشهد الديني إلى ممارسات عقلية أقرب إلى الطرح الفلسفي، كشف عن حقيقة راسخة وهي حضور الجانب العقلي وبزوغه في التجربة الروحية الخالصة.

فنجد الحارث المحاسبي الذي اشتغل بالتدريس - وهذا ينفي شبهة التعطل والبطالة عن أقطاب الصوفية الكرام - يسطِّرُ كتبًا تعد من جواهر المؤلفات العربية، التي تتحدث عن شوارق التصوف وأنواره مثل: "كتاب الرعاية لحقوق الله"، وكتاب "التوهم"، وكتاب "رسالة المسترشدين"، وفي كتبه جميعًا نجد منحى تحليليًّا عميقًا لأحوال النفس ومعالمها، وسردًا يخلو من المبالغة والعلو في التعبير، وهذا ما ميَّز كتابات عصر المحاسبي.

والحارث المحاسبي يواجه نفسه بسؤال: ما المحبة الأصلية ؟ وفي سؤاله هذا يقرن بين القلب والعقل، إذ إنه يتحدث عن أمر الوجدان بلسان العقل والروية، فيقول عن المحبة الأصلية: إنها حب الإيمان، مستدلًّا بذلك من أن الله تبارك وتعالى قد شهد للمؤمنين بالحب له فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥). يقول المحاسبي: "فنور الشوق من نور الحب وزيادته من حب الوداد، وإنما يهيج الشوق في القلب من نور الوداد، فإذا أسرج الله ذلك السراج في قلب عبد من عباده لم يتوهج في فجاج القلب إلا استضاء به، وليس يطفئ ذلك السراج إلا النظر إلى الأعمال بعين الأمان".

والمستقرئ لتلك الكتابات يسهل عليه استنتاج التحول في تاريخ التصوف الإسلامي من الزهد في الشهوات وغايات الدنيا إلى تأصيل القيم الإسلامية، مثل: الحديث عن صفة الرياء، والتنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها والتحذير عن هوى النفس.

مقام الوجد

كما جاد فيض الصوفي المكتوب في الحديث عن الوجد حالًا ومقامًا؛ حيث إن الوجد هو المعاناة الدائمة لتمحض الإنسان وبلوغ حريته الخالصة في الإخلاص للحق. أي أسلوب تراكم سره. ومن هنا قول عمر بن عثمان: "لا يقع على كيفية الوجد عبارة؛ لأنها سر الله عند الموقنين". ومقام الوجد كما أشار إليه ميثم الجنابي في دراسته الأكثر تميزًا وإثارة وتشويقًا الموسومة بـ "السماع لحقائق المطلق أو لعبة الوجدان والحقيقة في الإبداع الصوفي "يعني السر، والسر هنا هو حقيقة الباطن. ولهذا قالوا: "الوجد سر صفات الباطن"، أو حقيقة الأنا، أو حقائق الروح المبدع في معاناة تذوقه للمطلق في تجلياته اللامتناهية، وفي مكابدة مشاهداته ومكاشفاته. أي في مقاساة نماذج الإبداع العيانية والرمزية في إخلاص التجربة الفردية. فالوجد - كما يقول أبو سعيد ابن الإعرابي - هو "ما يكون عند ذكر مزعج، أو خوف مقلق، أو توبيخ على زلة، أو محادثة بلطيفة، أو إشارة إلى فائدة، أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت، أو ندم

على ماض، أو استجلاب إلى حال، أو داع إلى واجب، أو مناجاة بسر. وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن، والغيب بالغيب والسر بالسر، واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك ".

ولا يمكننا تغافل ذكر أبي سعيد الخراز ونحن بصدد الإشارة عن شوارق التصوف الإسلامي وروافده الأصيلة، لاسيما وأنه صاحب الأسفار الكثيرة التي صقلت تجربته الروحية التي بدت أكثر عمقًا خصوصًا وأنه كان ملازمًا للاضطهاد الذي صوب سهامه القاضي الحنبلي غلام بن خليل للصوفية والتصوف، كما أنه كان معاصرًا للإمام الجنيد الذي تعددت ألقابه بين طاووس الفقراء وسيد الطائفة وشيخ المشايخ، وأبو القاسم الجنيد هو أحد أعلام التصوف الإسلامي، ويعد في ذاته منارة مضيئة للعقل والقلب معًا، وهو الذي أوسع حديثه في نعت القاصدين إلى الله، فيقول الإمام الجنيد: "اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد كلما قصد إلى الله تعالى ومواصلته وقربه، فأول ما يجب عليه أن ينطلق بالسير على مركب المنطلقين إليه، ويبرز إلى محبوبه ويرتحل عن الكلية إليه بترك إرادة حظه من الدارين".

وختامًا لحديث الواصلين حكي أن ذا النون رأى رجلًا يبكي في سجوده وهو يقول: اللهم ارزقني رزقًا حلالًا واسعًا وزوجني من حور العين في الجنة، فقال له ذو النون: يا مسكين في الدارين تبكي، تبكي في الدنيا للخبز وفي الآخرة تبكي على الحور العين، فمتى تتفرغ لمولاك.

ونال أبو سعيد الخراز قسطًا من التربية والتعلم على يد كبير الصوفية بشر بن الحارث الحافي، فنجده يكتب كتاب "

الدكتور بليغ حمدى إسماعيل
أستاذ المناهج وطرق تدريس اللغة العربية المساعد
كلية التربية - جامعة المنيا

الصدق " حيث شرح فيه معنى الصدق والإخلاص عند الصوفي، وأفاض في حديثه عن الوصل والواصلين، ومن شوارق ما خطه بيان الفرق بين الواصلين والمقربين؛ فيقول عن أهل الوصل:

الفرق بين الواصلين والمقربين

"واعلم أن الواصلين إلى الله عز وجل وأهل القرب منه، الذين قد ذاقوا طعم محبة الله تعالى بالحقيقة وظفروا بحظهم من مليكهم، فمن صفاتهم: أن الورع والزهد والصبر والإخلاص والصدق والتوكل والثقة والمحبة والشوق والأنس والأخلاق الجميلة، وما لم يكن يمكن أن يوصف من أخلاقهم، وما استوطنوه من البر والكرم فذلك كله معهم، وساكن في طبعهم، ومخفي في سرائرهم، لا يحسنون غيره؛ لأنه غذاؤهم وعادتهم؛ لأنهم فرضوا ذلك على أنفسهم فرضًا، وعملوا فيه حتى ألقوه، فلم يكن عليهم بعد الوصول كلفة، في إتيانه والعمل به، إذا حل وقت كل حال؛ لأن ذلك غذاؤهم، كما ليس لهم في أداء الفرائض ثقل ولا علاج".

ثم يتجاوز الخراز حد توصيف علامات الواصلين واقفًا عند مقام القرب، وواصفًا أحوال المقربين، قائلًا: " قلت: متى يألف العبد أحكام مولاه، ويسكن في تدبيره واختياره؟، قال: الناس في هذا على مقامين؛ فافهم، فمن كان منهم إنما يألف أحكام مولاه؛ ليقوم بأمره الذي يوصل إلى ثوابه، فذلك حسن وبه خير كبير، إلا أن صاحبه يقوم ويقع، ويصبر مرة ويجزع أخرى، ويرضى ويسخط، ويعبر ويراجع الأمر؛ فذلك يؤديه إلى ثواب الله ورحمته، إلا أنه معنى في شدة ومكابدة، وإنما يألف العبد أحكام مولاه، ويستعذب بلواه، ويسكن في حسن تدبيره واختياره بالكلية بلا تلكؤ من نفسه، إذا كان العبد آلفًا لمولاه ولذكره، وهو له محبٌ وادٌّ، وبه راض، وعنه راض، فهل يكون أيها السائل، على المحب مئونة فيما حكم عليه محبوبه؟ كيف؟ وإنما يتلقى ذلك بالسرور والنعيم. هكذا قال في الخبر: حتى بعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة".

أما أبو بكر الشبلي - الذي طلب منه الحلاج سجادته لكي يصلي عليها قبيل صلبه - فهو يمثل إشراقة لطيفة من إشراقات التصوف الإسلامي الرائق، ومجمل تجربته الروحية الذاتية تدور في فلك المحبة، ولقد أوضحت تجربته مدى عمق تفكيره وتأويلاته المستمدة من صميم القرآن الكريم، ولقد شرح مناسك الحج متجاوزًا الشكل الظاهري إلى تحقيق كنه العبادة والفريضة التي تجسد المحبة المطلقة لله تبارك وتعالى. وبه نختتم سطورنا بشعره حين قال:

باح مجنون عامر بهواه
وكتمت الهوى فمت بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي
من قتيل الهوى؟ تقدمت وحدي

على المربين أن يهيئوا لأولادهم وهم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الإسلام، وتعرفهم مبادئه وتعاليمه الشاملة، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمل لواءه أبطال كرام

أهم الأسباب الوقائية في تقليل الحوادث (١٥)

د. جمال أمين

بقية: مسؤولية التوعية الفكرية

على المربين أن يهيئوا لأولادهم وهم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الإسلام، وتعرفهم مبادئه الشاملة، وتعاليمه الخالدة، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمل لواءه أبطال كرام، وجدود أمجاد، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس.

وأخيرًا أريد أن أهمس في أذن المربين والأولياء والآباء بهذه الحقيقة!!

أليس من المؤسف المؤلم أن يصل شبابنا إلى سن التكليف ولم يعلموا أن الإسلام دين ودولة، وعبادة وسياسة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الشمول والخلود والبقاء للزمن المتحضر والحياة المتطورة؟!

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أبناؤنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب، وفلاسفة الشرق، وعن أفكارهم وآرائهم، وتاريخ حياتهم، ومآثر أعمالهم، ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ، وأخبار الفاتحين، سوى النذر القليل؟!

ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات الأجنبية، والمبادئ الغربية أو الشرقية؛ حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم؟

ثم بالتالي أليس مما يفتت القلب والكبد أن تنساق الفئة المؤمنة من الشباب وراء أدعياء الإرشاد، يعطلون لهم تفكيرهم، ويقطعونهم من كل صلة ثقافية إسلامية واعية، ويمنعونهم من كل مرشد عالم مخلص، يوضح لهم حقيقة الإسلام ونظرته الكلية الشاملة؟! أو يسدوا ملف الفرق المكفرة والمتشددة.

وأخيرًا أليس من المخزي المؤسف أن يقتني أبناء هذا الجيل الكتب الإلحادية، والمجلات الخلاعية، والقصص الغرامية ... ولم يكن عندهم أدنى اهتمام بالكتب الفكرية التي توضح نظم الإسلام، وترد على شبهات الأعداء، وتعرفهم بمفاخر التاريخ؟!

فما عليكم – أيها المربون والآباء – إلا أن تقوموا بواجب المسؤولية تجاه أفلاذ أكبادهم، وأن تسعوا جاهدين في تصحيح أفهامهم وأفكارهم إن كانت مشوبة بأفكار دخيلة، وأراء ضالة!! كما عليكم أن تلقنوهم صباح مساء الردّ على دسائس الملحدين والمبشرين، وافتراءات الماديين والمستشرقين.

وفي هذا – لا شك – توعية لأفكارهم، وصيانة لعقيدتهم من أن تتأثر بالدسائس المغرضة، والمبادئ الهدامة، والعقائد المنحرفة.

فإن نهجتم هذا المنهج، وسلكتم هذه السبيل؛ اعتز أبناؤكم بدينهم، وافتخروا بأمجادهم وتاريخهم، وما عرفوا سوى الإسلام عقيدة وشريعة، ومصحفًا وسيفًا، ودينًا ودولة، وعبادة وسياسة، وكانوا من

الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر:

خلّفت جيلًا من الأصحاب سيرتهم
تضوع بين الورى روحًا وريحانا
كانت فتوحهُمو بِـــــرًّا ومرحمة
كانت سياستهـــــم عدلًا وإحسانا

مسؤولية الصحة العقلية

ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعًا: الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم، فما عليهم إلا أن يقدروها حق قدرها، ويرعوها حق رعايتها؛ حتى يبقى تفكيرهم سليمًا، وذاكرتهم قوية، وأذهانهم صافية، وعقولهم ناضجة.

ولكن ما هي حدود مسؤولية الآباء والمربين في صحة الأولاد والمربين العقلية؟

المسؤولية تتركز في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع هنا وهناك؛ لما لها من تأثير على العقل والذاكرة والجسم الإنساني بشكل عام.

وقد أفضنا في الحديث عنها في فصل (مسؤولية التربية الجسمية) من هذه المقالات، والآن نلخصها، ونشير إليها ليكون – كل من له في عنقه حق التربية – على بينة وهدى وذكرى.

مما أجمع عليه الأطباء، وحذر منه علماء الصحة أن المفاسد التي تؤثر على العقل والذاكرة، وتخمل الذهن، وتشل عملية التفكير في الإنسان، وتحدث أضرارًا بالغة في الجسم هي ما يلي:

١- مفسدة تناول الخمور بشتى أشكالها وأنواعها: فإنها تقتل الصحة وتورث الجنون.

٢- مفسدة العادة السرية: فإن الإدمان عليها يورث السُّلَّ، ويضعف الذاكرة، ويسبب الخمول الذهني، والشرود العقلي.

٣- مفسدة التدخين: فإن من تأثيره على العقل، أن يهيج الأعصاب، ويؤثر على الذاكرة، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير.

٤- مفسدة الإثارات الجنسية: كمشاهدة الأفلام الخلاعية، والتمثيليات الماجنة، والصور العارية، فإنها تعطل وظيفة العقل، وتسبب الشرود، وتقضي على ملكة الاستذكار الذهني، فضلًا عن الإلهاء، وإضاعة الوقت الثمين.

يقول الدكتور (أليكس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز غدده نوعًا من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدره فلا يعود قادرًا على التفكير الصافي).

إلى غير ذلك من المفاسد الخطيرة الضارة التي تضر الأولاد، وتسبب لهم الآفات والأخطار.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن:

- الواجب التعليمي
- والتوعية الفكرية
- والصحة العقلية

هذي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية؛ فإن قصّر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات، وفرطوا في هاتيك المسؤوليات، فإن الله سبحانه سيحاسبهم على تقصيرهم، ويسألهم عن نتائج إهمالهم، فيا خجلهم من الله إذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرطين.

ويا ويلهم من مشهد يوم عظيم إذا كان جوابهم أمام رب العالمين: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٧ - ٦٨)

وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه ابن حبان: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه: حفظ أم ضيع).

اللهم اجعلنا ممن يطيعون الله ورسوله، وممن تبيض وجوههم يوم الحساب، وممن أدوا مسؤولية أولادهم وأهليهم خير أداء ... إنك خير مأمول، وأكرم مسؤول.

من المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعًا: الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم، فما عليهم إلا أن يقدروها حق قدرها، ويرعوها حق رعايتها؛ حتى يبقى تفكيرهم سليمًا، وذاكرتهم قوية، وأذهانهم صافية، وعقولهم ناضجة.

حديث نبوي

قال رسول الله ﷺ: (أتيت لما أسري بي على موسى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره). - رواه النسائي في سننه -

مقال عمره ٧٥ عامًا[1]:

رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج أعلى من الإنسانية وفوق الملائكية

لا شك في أن من تتبع أطوار نبي البشرية ورسول الإسلام سيدنا ومولانا محمد ﷺ من يوم أن بزغت على الدنيا شمسه، يرى أن الأرض بظهوره قد سعدت بحمل أعظم مخلوق وأكرم مبعوث، أحاطه الله بهالة من القدس الأعلى، وضرب عليه حصارًا من الكمال الذاتي؛ حتى لا تنفذ العقول إليه من أي جهة، بل تقف دونه مدارك البشرية وقوى الملائكة حيارى، لا يدرون كيف يهتدون للوصول إلى العلم بتلك المكانة، وكأن الله تعالى قد أحاطه بهذا السياج من العزة على أن تحصر آثاره العقول، أو أن تدرك حقيقة معناه القلوب والأرواح؛ حتى ينفرد الله تبارك وتعالى بالعلم بمرتبته ﷺ، وليكون ذلك حكمًا أبديًّا من الله على أهل الأرض وعمار السماء بالعجز على أن يقدروا من قال الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ولما كان رسول الله ﷺ محبوب الله ومجتباه، اقتضت حكمة إفراده بالمحبوبية أن ينبه الله العقول بشأنه، وأن يلفت الأرواح لأمره، بما خرق له من سياج العادة في كل مرحلة من مراحل حياته ﷺ، وما لازمه من يوم أن تدلت أنوار أشعته الذاتية لأهل الأرض من المعجزات الكونية، والآيات العجيبة التي أدهشت العقول وحيرت الألباب، مما هو ثابت ثبوتًا قطعيًّا لا يتطرق إليه الشك، ولن يصل إليه الريب؛ حتى أرغم الأعداء على الاعتراف بواقع هذا الأمر، الذي جعله الله دليلًا حيًّا مشهودًا يرمي إليه صدق نبوته من جهة، وعلو مكانته على من سبقه من الأنبياء والرسل من جهة أخرى.

وكيف لا؟ وهو نبي آخر الزمان الذي ختم الله به سجل النبوة، وأتم بدعوته رسالة الهدى، التي جمع الله فيها أقصى ما يمكن أن تصل إليه الإنسانية من النمو الفكري والسمو الروحي والغايات العليا، التي يتركز عليها الحق والعدل والحرية، ويعم بها الخير والمساواة؛ حتى تأخذ الحياة طريقها إلى الاستقامة، فتزدهر الدنيا ازدهارها العلمي في الحضارة والعمران والأخلاق، وليصل كل فرد من البشر إلى نهاية ما يمكن أن يصل إليه من الأهداف البعيدة، التي يتحقق بها منتهى الرقي في الدنيا، وغاية الكمال في الآخرة.

ولا بد لمن أكمل الله به بناء التشريع أن يسخر لمشيئته عوالم الأرض، ويطوع لمراده عمار الملكوت الأعلى؛ حتى يقوم هذا التسخير الكلي برهانًا قاطعًا بأن هذا الرسول صلوات الله عليه هو رسول الدنيا وعروس الأخرى من بين جميع المخلوقات.

ولقد سخر الله له جميع الحقائق الأرضية؛ حتى شهد أهل الأرض له من الآيات البينات ما لم يجتمع منها لأي داعٍ سبق من الأنبياء والرسل، وتوافرت لديه ﷺ الحجج القاطعة بأنه نسخة الكمال الذاتي يقرأ فيها أهل الأرض معاني أخلاق الحق وجمالات الرءوف الرحيم سبحانه.

وكأن الله تعالى لم يكتفِ بهذا القدر لرسوله ﷺ، إلا أن تكون له مثل تلك الكمالات وأعلى بين أهل السماء؛ حتى ينفرد ﷺ بخصوصية تتضاءل بجانبها مكانة الأنبياء والرسل، وتضمحل أمامها مرتبة الملائكة المقربين.

فكانت خصوصية الإسراء والمعراج هي الطابع الرباني الذي ميز الله به حبيبه محمدًا ﷺ، وأثبت به عجز أهل السماء عن الدنو من تلك المكانة المحمدية.

ولقد كان لحادث الإسراء والمعراج من هزات عنيفة هزت القلوب والمشاعر إيمانًا بعلو قدره ﷺ على جميع المخلوقات علوًا وسفلًا، كما كان من أثر هذه الهزات أن ارتجت عقول، وتحطمت أفئدة لم تتذوق حلاوة التسليم لما هو فوق قدرتها، فأنكروا وقوفًا عند المألوف من العوائد الحسية، واستبعدوا الأمر قياسًا على الحوادث المادية.

وأنَّى للعقول المحجوبة بخضوعها لسلطان الحسّ أن تنفذ من أقطار مادتها؛ حتى تشهد جمال هذه الخلوة الربانية لحبيبه ومصطفاه، أو تحوم حول هذه الخلوة المحمدية في سرادق قدس الحضرة الإلهية؟

أنى للعقول هذا؟ وقد أعجزها ما خفى من خواص الكائنات التي تحت إشرافها، وسر ما اندمج في مراتب الموجودات التي في دائرتها؛ حتى انقلب العقل خاسئًا وحسيرًا، وارتد الخيال حائرًا وحقيرًا، إقرارًا بعجيب قدرة القادر، وإكبارًا لحكمة البديع الصانع.

ولن يقف على سر الإسراء والمعراج إلا من وهب لهم عيون كشف تشهد كيف خلق الله الأنواع الحية، وكيف رفع السماء بغير عمد، وكيف نصب الجبال وبسط الأرض؛ حتى تطمئن القلوب بشهود ما خص الله به حبيبه المجتبى ورسوله المختار صلوات الله وسلامه عليه في تلك الليلة المباركة، التي أسرى الله به فيها من بلده الحرام إلى بيت المقدس، ومنه عروجًا إلى السماوات، فإلى سدرة المنتهى، إلى مقام قاب قوسين أو أدنى.

نسأل الله أن يمنحنا نورًا في قلوبنا نشهد به ضياء هذه المقامات شهودًا يرسم على نفوسنا ذلك الجمال المحمدي، ويسطر على ألواح أفئدتنا سر ما انفرد به المصطفى ﷺ من الخلق الإلهي الممثل في إنسانيته والنور القدسي المطبوع في روحانيته؛ حتى ترتل الأرواح حقيقة معناه، وتظل أنواره

مشرقة للقلوب فلا تنساه.

حديث الإسراء في القرآن

وحديث الإسراء حديث عجيب؛ لأنه من غرائب القدرة الربانية، ولذا استهله الله بكلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ التي تفيد التعجب، كما لو رأى الإنسان أمرًا غريبًا مدهشًا، فسرعان ما يقول: (سبحان الله)، وبهذا ينبه الله العقول إلى أن الإسراء برسول الله ﷺ من الأمور النادرة العجيبة الخارجة عن نطاق العقل البشري.

وأيضًا تشير كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ إلى التنزيه والبعد، أي تنزيه الله عما تتصوره العقول مما لا يليق بكمال الحق سبحانه من أن يكون الله تعالى في جهة أو مكان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ورضي الله عن سيدي وأستاذي السيد أبي العزائم قدس الله سره، فقد حلل كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ تحليلاً لغويًّا نستخلص منه معاني التنزيه لله تعالى، وبعده عن كل ما يتعلق بالحوادث من الحلول في مكان أو جهة.

فقال: ﴿سُبْحَانَ﴾ إما أن تكون علمًا على التنزيه، أو مصدرًا فعله سبَّح (بالتشديد) وأصله سبَح (بالتخفيف)، ويقال: سبح فلان في البحر، أي قطعه مرحلة؛ حتى بعد عن الأنظار.

ومنها يفهم بُعد الله عما يليق بكماله، وتنزه تفيد البعد إذ يقال فلان تنزه أي نأى عن النقائص والقاذورات والغوغاء داخل القرية أو المدينة، وبعد عنها إلى فسيح الإطلاق، ولقد استهل الله خبر الإسراء بهذه الكلمة منعًا للعقول من التصورات، وسدًّا للخيال من الأوهام.

وكلمة ﴿الذي﴾ التي بعد سبحان، اختار الله وضعها في هذا المكان من الآية لحكمة عالية لا تنكشف إلا لمن صاحب أولياء الله من العارفين، وسرها أن الله تعالى لم يقل: "سبحان الرب، أو سبحان القادر الذي أسرى بعبده"؛ حتى لا يكون تجلى الحق لحبيبه بقدر معنى الاسم المذكور بعد سبحان، بل أتى بالاسم الموصول إشارة إلى أنه موصول بجميع أسمائه وصفاته، ليكون تجلى الحق لحبيبه تجليًا كاملًا جامعًا لمعاني الربوبية؛ لئلا يغيب عن رسول الله ﷺ في هذه الجلوة شأن من شؤون الحق سبحانه.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ

الداعي الأول للطريقة العزمية

فضيلة الشيخ إبراهيم أفندي الخطيب

لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فإنه يتخلل بين تلك الكلمة من الآية الشريفة إشارات غريبة تميط اللثام عن الحقائق التي قد ذكر فيها وجاءت في سورة النجم، وتكشف أسرارًا فيها تغيير وتبديل وتحول، وكل هذه تحدثك بأعجب العجب في هذه القصة الفذة.

منها أن الله تعالى قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾، ولم يقل أسرى برسوله؛ لما لمقام العبدية من المكانة العالية فوق مرتبة النبوة والرسالة، وليكون هناك مجاز لكل أولياء الله تعالى إذا ما سرت أرواحهم نفوذًا من أقطار السموات والأرض بقدر اتحادهم بالروح المحمدية

- سيدنا محمد ﷺ إنسان، ولكنه فوق الإنسانية، وحقيقة نورانية أعلى من الملائكية.

- لا يكون المسلم مؤمنًا إلا إذا استنار سماء قلبه بشمس معانيه، التي تنقشع منها غيوم أهوائه ومبانيه، ولديها تشرق روحه على الملكوت وتتحد مع العالم الأعلى، فاللهم أوردنا هذا المورد الهني.

الكلية، اتحادًا يبدل طبائعهم بما يظهر عليه من جمالات الرسول ﷺ، لاستغراقهم الكلي في حضرته الأخلاقية والروحية.

وقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ فيها على قصد السرى من السير ليلًا كلغة العرب، وهي تنطوي على إشارتين: تفصح إحداهما عن الإسراء والمعراج بأنه تم في جزء قصير من الليل نفسه الذي بدىء في السير، وتشير الأخرى إلى أن الرسول يوصف في هذه الليلة بأنه النجم المتألق في سماء الإنسانية؛ لأنه هو النور المتجسد لهداية العالم لقوله سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو رسول الله، ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، وهو القرآن.

ولقد كان من أسلوب القرآن البديع أن يعبر عنه ﷺ بالنجم لمناسبة الظرف الزماني الذي اختاره الله تعالى؛ لأن يجمع عليه؛ فهو حبيبه ومصطفاه، وهو الليل حيث تكون النفس قد سكنت إلى منفسها والجسم إلى بارئه.

وأيضًا لمناسبة الحالة التي كان عليها العرب من فساد العقائد وغلظ الطبع؛ حتى كانوا بذلك في ليل مظلم لرداءة الأخلاق وقسوة القلوب، فناسب أن يوصف الرسول بالنجم، وهو تعبير حكيم لا يتعدى الحقيقة، وليس لنا أن نقول لما اختير للرسول أن يكون نجمًا، ولم يكن شمسًا أو قمرًا، فإن الشمس تحقق وجود النهار المضيء، وهذا يخالف ما كان عليه العرب من ظلال دامس في العقائد والأخلاق، التي هي في قوة الليل الحالك.

ولا يناسب حالة الليل إلا نجم أو قمر، والنجم لهذا المناسبة أبلغ في التعبير عن حقيقة الرسول ﷺ؛ لأن القمر يظهر في بعض الليالي ويغيب عن الأنظار في الأخرى، ولكن النجم دائم الظهور، ويهتدي به السالك كلما ضل الطريق، ويحقق هذا التوجيه أن قصة المعراج لم تذكر في آية الإسراء ولكنها ذكرت في سورة النجم- ﷺ- ، ولقد كان القرآن الكريم حريصًا كل الحرص، فلا يعطي الأشياء مسمياتها إلا بوصف الحالات السائدة والمناسبات الملتصقة بها.

وإن تعجب فعجب قوله سبحانه ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فمع وضوح العبارة إلا أنها تخفي وراء ألفاظها السر الذي يبهر العقول،

ويميط اللثام عن تلك القوة الإلهية التي أشرف بها النبي ﷺ؛ حتى انبلجت له الحقائق من فوق الزمان والمكان يشهدها بغير قيود الحواس المحدودة مما مرده إلى قوة الله لا إلى مقدرة نفسه؛ لأن الذي أراه تلك الآيات هو الله بخلاف ما لو قال الله: (ليرى من آياتنا)، فإنه بذلك تكون الرؤية بنفسه في حدود قوتها وحواسها المحدودة.

وكأن الله تعالى نسب إلى نفسه الرؤية، بأنه هو الذي يريه، ليقطع على الناس طريق الاعتراض والإنكار؛ ولتتضح المعجزة التي هي من صنع الله.

ولعلك أيها القارئ الكريم تشهد معي أن هذا التغيير في فعل الرؤية وإحلال ﴿لِنُرِيَهُ﴾ بدلًا من (ليرى) هو بعينه يفيد تغيير الرأي من حالته البشرية في حدودها الآدمية إلى حقيقته الروحية المطلقة فوق الإنسانية والملائكية.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ السر الأخفى، فمع دلالة هذه الكلمة على أنه ﷺ السميع لما يتلقاه من الوحي بيانًا، البصير للحقائق والآيات عيانًا، فهو كذلك السميع لكلام الله من الله، والبصير الذي رأى الله بعين بصره وبصيرته كما أشار الله بذلك في سورة النجم بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٧)، والزيغ والطغيان لا يكونان إلا للجسم بحواسه المحدودة، وذلك برهان على أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد.

حديث الإسراء في السُّنَّةِ

ومن أمعن النظر وقلب القلب في معاني الإسراء يرى أن الجمع بين البراق والملك رمز يشير إلى تسخير الملك والملكوت لرسول ﷺ.

كما يتخذ دليلًا يضاف إلى ما سبق من أدلة على أن الإسراء بالجسم والروح، إذ الروح وحدها لا تحتاج إلى دابة؛ لأنها مطلقة غير مقيدة، كما ينبلج هذا الدليل حالة استفتاح جبريل السماوات له ﷺ، إذ الروح المطلقة لا يستفتح لها ولا يستأذن لها؛ لأنها بصفائها تخترق الأسوار والأجواء والأرجاء.

ومن طرائف ما جاء عن الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ مر على قوم يزرعون ويحصدون في كل يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: (ما هذا يا جبريل؟)، فقال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف.

ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: (ما هذا يا جبريل؟) قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة.

إلى غير ذلك مما طرزت به القصة ويوحي بتجسيد الأعمال في هذا الكون، فقد يحسبها الإنسان خيرًا لتقع شرًّا، أو يعتقدها مضرة وتعبًا، فتقع بها مسرة، إذ تتوارى صورها الزمنية، وتبقى صورها الأبدية التي نطقت بها حقائقها.

وأعظم برهان على علو مكانة الرسول فوق الملائكية توقف جبريل عليه السلام عن متابعة السير مع رسول الله ﷺ عندما وصلا إلى سدرة المنتهى؛ حتى قال له رسول الله ﷺ: (أهنا يترك الخليل خليله؟)، فأجابه جبريل: تلك مكانتي، وأما أنت فتقدم؛ لأني لو تقدمت شبرًا لاحترقت، وهنا نقف برهة وقفة المتأمل الحائر أمام عجز الملائكية دون الوصول إلى المكانة المحمدية.

ولقد فرضت الصلاة في ليلة المعراج، وأظهر ما تشير إليه أنها لم تكن عن طريق الوحي بواسطة جبريل، بل كانت من الله لرسوله من غير واسطة، وذلك دليل على أهميتها العظمى في الإسلام، وأنها كما قال رسول الله ﷺ: (عماد الدين).

وفي ترديد موسى لرسول الله على ربه يسأله التخفيف في الصلاة المفروضة؛ حتى صارت خمسًا بعد أن كانت خمسين، معنى لا يخفى على من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

- كان البراق له ﷺ رمزًا للسرعة، وفي دعوته يكون زمان السرعة في كل ما يظهر على الأرض من النمو الفكري والسمو العقلي.

- في دعوته يتصل أول العالم بآخره ماديًا وروحيًا بقدر ما أشار إليه البراق في سرعة خطاه

فموسى عليه السلام كان يطمع في تلك المكانة ليرى ربه وهو في الدنيا فلم يجبه ربه؛ لأنه لم يعده لها، ولأن الله تعالى أعد لها هذا السيد ﷺ، وكان موسى كلما رأى ذلك الجمال الإلهي مشرقًا في محيا رسول الله ﷺ يعيده إلى ربه لطلب التخفيف في الظاهر، والحقيقة أنه كان يستمتع بهذا التجلي الإلهي في صورة المصطفى ﷺ.

والحديث في الإسراء والمعراج محيط متلاطم بأمواج الأسرار والعوارف، فإذا أردنا أن تستوعب لحضرات قراء مجلة (المدينة المنورة) المحترمين ما استقيناه من خزانة العلوم الإلهية والمواهب الربانية إمامنا السيد أبي العزائم رضي الله عنه لم يتسع لذلك المكان والزمان.

فلأبي العزائم قدس الله سره من الإشارات في هذا المقام ما لا يمكن أن يحده العقل أو يسطر على الأوراق، ولكنه رضي الله عنه كان يلوح بهذه الأسرار العالية فترتسم معانيها على ألواح القلوب وصحائف الأفئدة.

خلاصة حديث الإسراء والمعراج

وإنا إذ نلخص موضوع الإسراء والمعراج بهذا الحديث، فإنما ننتهي منه بتلك الحقائق الآتية:

١- سيدنا محمد ﷺ إنسان، ولكنه فوق الإنسانية، وحقيقة نورانية أعلى من الملائكية.

٢- كان البراق له ﷺ رمزًا للسرعة، وفي دعوته يكون زمان السرعة في كل ما يظهر على الأرض من النمو الفكري والسمو العقلي.

٣- في دعوته يتصل أول العالم بآخره ماديًا وروحيًا بقدر ما أشار إليه البراق في سرعة خطاه.

٤- لا يكون المسلم مؤمنًا إلا إذا استنار سماء قلبه بشمس معانيه، التي تنقشع منها غيوم أهوائه ومبانيه، ولديها تشرق روحه على الملكوت وتتحد مع العالم الأعلى، فاللهم أوردنا هذا المورد الهني.

---

(١) مقال نشر على حلقتين بمجلة (المدينة المنورة)، في العدد ٤٦ من السنة ١٩، يوم الجمعة ٨ شعبان ١٣٦٦هـ - ٢٧ يونيه ١٩٤٧م، والعدد ٤٧ من السنة ١٩، يوم الجمعة ١٥ شعبان ١٣٦٦هـ - ٤ يوليه ١٩٤٧م.

أفضل الدين الحب والبغض في الله

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (إن أفضل الدين الحب في الله، والبغض في الله، والأخذ في الله، والبكاء في الله).

الحب هو الدين

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (الدين هو الحب، والحب هو الدين).

هل الإيمان إلا الحب؟

سأل الفضيل بن يسار الإمام جعفر الصادق عليه السلام "هل الحبّ من الإيمان؟"، فقال الإمام: (وهل الإيمان إلا الحب؟!)، وقال: (دليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه)، وقال أيضًا: (من وضع حبه في غير موضعه؛ فقد تعرض للقطيعة).

ثلاث خصال تجتلب المحبة

قال الإمام محمد الجواد عليه السلام: (ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع إلى قلب سليم).

اخلع نعال حبك

روي عن الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام: (إن موسى عليه السلام ناجى ربه بالوادِ المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك- وكان شديد الحب لأهله - فقال الله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (طه: ١٢)، أي: انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولًا).

الحب والمحبة

قال الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رضوان الله عليه: (الْحُبُّ: إنْ كَانَ بِالْعِلْمِ؛ جَذَبَ إلَى الْمَحْبُوبِ، وَإنْ كَانَ بِالشُّهُودِ؛ أَصْمَتَ الْمُحِبَّ؛ لِأَنَّهُ يَعْجِزُ عَنْ تَصْوِيرِ مَحْبُوبِهِ بِعِبَارَةٍ أَوْ إشَارَةٍ، وَيُجِلُّهُ عَنْ أَنْ يُبَيِّنَ مَحَبَّتَهُ غَيْرَةً عَلَى الْمَحْبُوبِ، فَإِذَا تَجَاوَزَ الْكَشْفَ؛ صَارَ الْمُحِبُّ مَحْبُوبًا، فَأَشَارَ إلَى الْمَحَبَّةِ بِقَدْرِ نَفْسِهِ).

وقال أيضًا: (الْمَحَبَّةُ: هِيَ الأَسَاسُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَيْهِ الدِّينُ، وَلَوْلَاهَا مَا صَبَرَ رَسُولٌ فِي الدَّعْوَةِ إلَى اللَّهِ، وَلَا بَذَلَ الأَنْصَارُ وَالْمُجَاهِدُونَ نُفُوسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا صَبَرَ عَبْدٌ عَلَى صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا حَجٍّ وَلَا بِرٍّ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَا جِهَادٍ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ صَافِي شَرَابِ الْمَحَبَّةِ، وَمَلأَ بِطَاحَ الأَرْضِ وَصِفَاحَ السَّمَاءِ بِالْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ أَجِيرُ سَوءٍ).

حكم الدين

من فتاوى
الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبوالعزائم

وليُّ الله تعالى وصفاته ووظيفته (٢/٢)

⓪ سماحة مولانا الإمام المجدد حجة الإسلام والمسلمين فى هذا الزمان السيد محمد ماضى أبو العزائم- قدَّس الله سرَّكم، ونفعنا الله بكم، وجعلكم وليًّا مرشدًا لطلاب العلم النافع، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فنرجو من سماحتكم التكرم بتعريف الولي، وأنواع الأولياء، وصفاتهم الظاهرة، وصفاتهم الباطنة، ووظيفتهم؛ حتى ننتفع بهم في الدنيا والآخرة.

فأجاب سماحته قائلًا:

يا بني: بينت لك اللقاء الماضي تعريف الولي، وأنواع الأولياء، وصفاتهم الظاهرة، وصفاتهم الباطنة، وفي هذا اللقاء أبيِّن لك وظيفة أولياء الله تعالى.

وظيفة أولياء الله تعالى

وظيفتهم معالجة النفوس الجامحة إلى الغواية، وتزكيتها من أدران الأخلاق الفاسدة، مما ألمَّ بها من فساد الوهم، أو اختلال الخيال، أو الهبوط إلى أفق البهيمية لعدم تناسب الأعضاء، أو الإخلاد إلى الأرض بسبب ما اكتسبته النفوس من المجتمع الذي نشأت بينه، فتراهم دائمًا يميلون إلى أهل المعاصي، ويألفون أهل الأخلاق التي ليست على الوسط، بما وهب الله تعالى لهم من الحكمة والعلم بأمراض النفوس، ولذلك فقد قال سيدنا عيسى عليه السلام عندما أنكر عليه اليهود صحبة الأشرار له: (إِنَّمَا أَنَا طَبِيبٌ وَإِنَّمَا يَمِيلُ ٱلطَّبِيبُ إِلَى ٱلْمَرْضَىٰ) وكذلك العلماء بالله تعالى هم أطباء النفوس.

ومن وظائفهم أنهم يبينون للنفوس سبيل الله تعالى؛ لأنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، فهم النور الذي تستبين به محجة المنافع وطرق المواصلات لنيل الخيرات من زراعة وتجارة وإمارة وغير ذلك.

فكذلك أهل المعرفة بالله شموس تنبعث منها الأنوار التي تستبين بها طرق الله تعالى، ويظهر بها الصراط المستقيم. وهم أنفع للمجتمع من شمس النهار المشرقة ضحوة؛ لأن الشمس تبين طرق الأرض وهم يبينون طرق الله تعالى الموصلة إلى الخير الحقيقي والسعادة الدائمة.

وشتان بين الشمس التي توصل إلى القصود التي نهايتها الموت، وبين شمس توصل إلى المقصد الأعظم الذي هو رضوان الله تعالى والفوز بجواره في مقعد

صدق عند مليك مقتدر.

ولما كانت هذه الوظيفة هي أعظم وأجل وأنفع الوظائف للمجتمع كان لهؤلاء القوم في القلوب محبة وهيبة، ويخضع لهم ذو جلال، ويهابهم السلطان، ويحبهم المؤمنون، ويتوسل بهم العامة، كل ذلك لما جملهم الله تعالى به من الأخلاق الجميلة والرحمة والرأفة ولين الجانب، ولما أطلق به ألسنتهم من الحكمة والموعظة الحسنة، ولأن النفوس لها ميل إلى القوة التي فوق الأسباب، وقد فطرت على التقرب إلى الله تعالى بأهل التقوى، فترى جميع النفوس تحب المتقين وخصوصًا الميالين للعزلة عن الناس المستهترين بذكر الله تعالى، الزاهدين فيما في أيدي الناس من أهل الصفا والإقبال على الله بالكلية، ولا يعترض عليَّ معترض فيقول: إن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم عاداهم أهل الكفر بالله تعالى، فأجيبه أن رسل الله صلوات الله عليهم تحدوا الناس بدين الله تعالى وأقاموا الحجة على الخلق بما جاءوا به من عند الله تعالى، وعرضوا أنفسهم على العالم، وبينوا للناس عاقبة ما هم عليه من الضلال والكفر بالله تعالى، فكان ذلك موجبًا لمعاداتهم - أما أهل الصفا من أولياء الله تعالى فإنهم لم يكلفوا بالتحدي، ولم يطالبوا بدعوة الناس إلى الحق لفرارهم من الخلق، وإقبالهم على العبادة والتنسك، ولكن الناس يألفونهم ويتقربون إليهم، لا فرق بين المسلم والكافر لا لطلب العلم فقط بل لأغراض أخرى- يعتقدون أن الله تعالى ييسرها لهم ببركتهم وباجتماع الناس عليهم، يشرح الله صدورهم لما يسمعونه من العلوم التي تزكي النفوس إلى الاستقامة أو إلى الإسلام، وكم أسلم مشرك على أيديهم، وكم استقام عاص واهتدى فاسق، ولا عجب فإن الله تعالى يلقي محبة منه على من اجتباهم من عباده بقدر ما يوفقهم له من القربات، ومن إقبالهم بظاهرهم وباطنهم على الله تعالى، فإذا منحهم الله تعالى لسان البيان والحكمة وبلغ أحدهم من المقامات ما صار به وارثًا لرسول الله ﷺ كان من التمكين بحال به يحبه أهل الإيمان والتقوى، وكان ممن قدر الله لهم السعادة، فيبغضه أهل النفاق والكفر - فيكون لهم قسط وافر من سر الأنبياء وسيرهم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم، وهم خلفاء رسول الله ﷺ، وأمناء الله تعالى على شريعته، والعلماء الربانيون، والراسخون في العلم، وهم النور المشرق لمناهج القرآن وأحوال رسول الله ﷺ، يكشف الله تعالى لهم غوامض أسرار القرآن، ويمنحهم الحكمة والبيان، ويلهمهم الصواب في القول والعمل والحكم، ويمدهم بروحانية رسول الله ﷺ، وهم الذين اشتاق إليهم رسول الله ﷺ في الحديث الطويل، واشتاق إليهم سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حديث كميل في قوله: (وَا شَوْقَاهُ إِلَيْهِمْ)، وهم الذين أثنى الله عليهم وأخبر أنهم أولو الأمر من المسلمين بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣).

ولو كانوا مجهولين أخفياء لا يعرفهم أحد فإنهم معروفون لله، معروفون للملإ الأعلى، وكل واحد منهم شمس يضيء لأهل السماء كما تضيء الشمس لأهل الأرض، وهم العرائس ضنائن الله تعالى في أرضه، لا يوصل الله تعالى إليهم إلا من سبقت لهم الحسنى، وقدر الله لهم الوصول إليه ﷻ باتصاله بهؤلاء الأخيار، أولئك والله الأئمة الهداة، يرحم الله بهم، وينظر إلى من شاء من عباده في قلوبهم، ذرة من أعمال قلوبهم خير من أعمال الجوارح الدهر كله.

وهم الذين أكرمهم الله تعالى فكان معهم وجعلهم معه سبحانه، أرضاهم عنه ورضي عنهم، لا تفي عباراتنا بأحوالهم، ولا تكشف إشاراتنا مبادئ شهودهم في وجودهم قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

ومن صفاتهم إخفاء حالهم وستر مقاماتهم، فلا يقهرهم ولا يشغلهم مقام، ولا يغضبهم مؤلم، يغضبون لله، ويرضون لله، تراهم منقبضين على بساط المؤانسة، وخائفين وهم في حصن ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

وفي خشية وهم على موائد إكرام الله تعالى لهم بالاستجابة، قال ﷺ: (رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللهِ لأَبَرَّهُ) [رواه أحمد ومسلم والحاكم وأبو نعيم].

كمل والله توحيدهم شهودًا، فأفردوا مولاهم بالعزة والجلال والعظمة والكبرياء والإعطاء والمنع والضر والنفع، فذلوا للحق ولأهل الحق ذلًّا للحق، وعزوا على الباطل وعلى أهل الباطل كراهةً لما كره الله وحبًّا لما أحب الله، ذلوا للمؤمنين كما أمر الله تعالى، وعزوا على الكافرين إعزازًا للحق، صغرت الدنيا في أعينهم عن أن تشغلهم عن الآخرة نفسًا، فكيف تشغلهم عن الله تعالى؟! إذا رءوا ذكر الله، مجالستهم تجذب النفوس إلى حضرة القدوس، ومحبتهم تحبب في الله، والقرب منهم تقريب من الله تعالى. قال ﷺ: (ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ حُبُّهُ يُحَبِّبُنِي فِيكَ)[1].

وكلام رسول ﷺ هذا يوقظ قلوب المؤمنين إلى محبة أهل المعرفة بالله تعالى، المقبلين على الله تعالى بكليتهم، وهم الحياة لأهل عصرهم، والنور لمن والاهم، والنجاة لمن اقتدى بهم رضي الله عنهم.

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٢٣/٣٦ ح٢٢١٠٩.

بـراعـم الإيــمان مـن فـيـض الحـنــان (٨)

حوار مع فقيه

المحاسب مصطفى فهيم
مدير إدارة الإعفاءات الشخصية
بالجمارك المصرية سابقًا

الآن؛ هيا بنا نركز على بعض النقاط المهمة لتكون لنا نورًا نستضيئ بها، ولنجري هذا الحوار مع فقيه:

- سيدي الفقيه: ما معنى قول الحق سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩)؟.

- بنيّ: معنى أضاعوا الصلاة: أي أضاعوا التوجه لله في الصلاة؛ الذي به يواجههم سبحانه مواجهة رحمة ومودة فتحسن أخلاقهم ومعاملاتهم مع الخلق، وبالتالي لا توجد لديهم ثمرة للصلاة؛ لأنهم صلوا صلاة عادة وليس صلاة عبادة، حتى يحدث بها صلة بالله: بالمراقبة، وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بحسن الاقتداء والاتباع، والمؤمنين: بحسن المعاملة والأخلاق، والكون: بعمارته.

- ومن هو أعظم السارقين جرمًا؟.

- هو سارق الصلاة الذي لا يتم ركوعها ولا سجودها.

- وما معنى الخشوع في الصلاة؛ وما معنى المحافظة عليها؟.

- الخشوع في الصلاة: هو الاستحضار التام مع الله عز وجل بأن يتيقن بكل كلمة يقولها في الصلاة، ولا يشغله شاغل عن الله، ويكون حاضرًا بقلبه مخلصًا بنيّته.

والمحافظة على الصلاة: أن يحافظ على هيئات الصلاة والأقوال والأدعية المأثورة في الصلاة، ويحافظ على أوقات الصلاة، ولا يؤخر الصلاة؛ بل يصلي الصلاة في بداية وقتها.

أدعية:

دعاء عند الأذان: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أتِ سيدَنا محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدتَه.

دعاء عند استفتاح الصلاة: إني وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا مِنَ المُسْلِمِين.

دعاء الركوع: اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، وعليك توكلتُ، أنت ربي، خشع سمعي وبصري ولحمي ودمي ومخي وعصبي لله رب العالمين.

دعاء الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. "مسلم".

دعاء السجود: اللهم لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، اللهم أنت ربي، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين.

فرائض وسنن الصلاة:

- ما هي فرائض وسنن الصلاة؟.

- لخَّصَها الإمامُ أبو العزائم يا بنيّ بقوله:

الأفعال كلها فرائض في الصلاة إلا ثلاثة:

١- رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام.
٢- والجلوس في التشهد.
٣- ولفتة السلام على الشمال.

والأقوال كلها سنن إلا ثلاثة:

١- تكبيرة الإحرام.
٢- والفاتحة.
٣- والسلام على اليمين.

"ومعلوم أن النية: محلها القلب".

- ما هي المواضع المنهيّ عن الصلاة فيها؟.

- هي : المجزرة – المزبلة – الحمَّام – قارعة الطريق – معاطن الإبل – أمام جدار نجس – الأرض المغصوبة – الصلاة في الثوب الحرير؛ لأن هذه الأماكن تتوفر فيها النجاسة والقذارة.

- ما هي مكروهات الصلاة؟.

- مكروهات الصلاة هي:

١- ترك سنة من سنن الصلاة.
٢- رفع البصر.
٣- الالتفات بوجهه عن القبلة.
٤- القراءة في الركوع والسجود.
٥- كف الثوب وكف الشعر.
٦- تشبيك الأصابع.
٧- العبث في الثياب واللحية.
٨- النظر إلى كل ما يلهي.
٩- تغميض العينين.
١٠- التنكيس في القراءة.
١١- التثاؤب في الصلاة.
١٢- تكره الصلاة وهو مدافع للأخبثين.
١٣- تقديم الصلاة على طعام تشتهيه النفس طالما الوقت متسع.
١٤- وصل النافلة بالصلاة المكتوبة.
١٥- مغالبة النوم.
١٦- الإشارة باليد إلا لدفع المارين أمام المصلي.
١٧- تكرار فاتحة الكتاب.
١٨- إلصاق القدمين ببعض حتى لا يفقد التوازن.
١٩- التمايل أثناء الصلاة؛ أي: الحركة الزائدة.
٢٠- الصلاة بحضرة ما يلهي عنها من أصوات لاهية عن ذكر الله.

- ما هي مبطلات الصلاة؟.

١- التكلم بكلام أجنبي عنها سواء كان المتكلم عامدًا أو ناسيًا، عالمًا بأن الكلام مفسد للصلاة أو جاهلًا.

٢- الفعل الكثير الذي ليس من جنس الصلاة سواء وقع عن عمد أم عن سهو، العمل القليل كحَكِّ البشرة مكروه ولا يفسد الصلاة، "وهذا رأي الحنابلة".

٣- الأكل والشرب عامدًا أو ناسيًا؛ سواء كان قليلًا أو كثيرًا.

٤- التحول عن القبلة بجملته "وهو رأي الحنابلة".

٥- أن يسبق المأمومُ الإمامَ عمدًا؛ كأن يركع قبل ركوع الإمام، أو يسجد قبل سجوده، فإن حدث هذا سهوًا عليه أن يرجع لما كان عليه الإمام.

٦- حدوث نجاسة غير معفو عنها خلال الصلاة في البدن أو الثوب أو المكان.

٧- الضحك في الصلاة بصوت يسمعه هو ومَن بجواره "عند الأحناف يصل إلى بطلان الوضوء".

٨- إذا وجد المتيمم الماء خلال الصلاة وهو قادر على استعماله.

٩- انكشاف العورة خلال الصلاة يفسدها؛ لأن ستر العورة من أركان الصلاة.

١٠- ترك ركن من أركانها عمدًا.

١١- فقد الطهارة من الحدثين.

وإليك يا بني بعض الصلوات المسنونة وهي كما يلي:

* الوتر.

* قيام الليل – صلاة التراويح: كانت في زمن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه تُصَلَّى ثلاثًا وعشرين ركعة.

* صلاة العيدين – صلاة الكسوف "الشمس" والخسوف "القمر".

* صلاة الاستسقاء – صلاة الضحى – تحية المسجد.

* صلاة الاستخارة – صلاة التوبة – صلاة الحاجة.

* صلاة التسابيح – الصلاة بعد التطهر.

* صلاة المريض – صلاة الخوف.

أما صلاة الجنائز فهي: "فرض كفاية".

- هل هناك أوقات منهي عن التنفل فيها؟.

- نعم يا بني؛ وهي كما يلي: الوقت ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، والوقت ما بين صلاة العصر وغروب الشمس.

- ما هي صلاة التطوع:

- سنن تابعة للصلاة المفروضة "القبلية والبعدية":

* قال رسول الله ﷺ: (مَن صَلَّى كلَّ يومٍ وليلةٍ اثنتي عشرةَ ركعة بُني له بيتٌ في الجنة: أربعًا قبل الظُّهر - وركعتين بعدها – وركعتين بعد المغرب – وركعتين بعد العشاء – وركعتين قبل صلاة الغداة) "أي الصبح".

* وقيل: أربعًا قبل الظهر وأربعًا بعدها؛ لقول رسول الله ﷺ: (مَن صَلَّى أربعًا قبل الظُّهرِ وأربعًا بعدها حَرَّمهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) "أحمد والترمذي".

* أربعًا قبل صلاة العصر أو اثنتين؛ عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (رَحِمَ اللهُ امْرءًا صلَّى قبلَ العصرِ أربعًا)، وروى أبو داود عن عليٍّ كرم الله وجهه أن النبيّ ﷺ: (كَانَ يصلِّي قبلَ العصرِ ركعتين).

* قبل المغرب اثنتين وبعد المغرب اثنتين أو ستة؛ روى البخاري عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ قال: (صَلُّوا قبلَ المغربِ ركعتين، ثم قال: صلُّوا قبلَ المغربِ ركعتين، ثم قال في الثالثة: لِمَن شَاءَ) كراهية أن يتخذها الناس سنة، وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: رأيتُ حبيبي رسول الله ﷺ يصلي بعد المغرب ست ركعات، وقال: (مَن صلَّى بعدَ المغربِ سِتَّ ركعات غُفرت له ذنوبُه وإن كَانَتْ مثل زبدِ البحر)، وهي صلاة الأوابين.

* بعد العشاء اثنتين أو أربعًا أو سِتًّا؛ سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة النبي ﷺ فقالت: (ما صلى العشاءَ قط فدخل علي إلا صلَّى أربعَ ركعاتٍ أو سِتَّ ركعاتٍ).

* اثنتين قبل الفجر؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ركعتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا).

صلاة الجمعة

الآن تعالوا بنا أحدثكم عن صلاة الجمعة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩).

حقائق عن يوم الجمعة:

١- إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس.

٢- خلق الله آدم يوم الجمعة، وأهبط إلى الأرض يوم الجمعة، وتوفي أيضًا يوم الجمعة.

٣- فيه ساعة إجابة من الله.

٤- تقوم فيه الساعة.

٥- فيه النفخة وفيه الصعقة.

٦- إن الله أضل مَن كان قبلنا عن يوم الجمعة، فكان لليهود: السبت، وللنصارى: الأحد، وجعل الله الجمعة للمسلمين.

٧- الجمعة يوم عيد للمسلمين.

٨- الملائكة تقف على باب المسجد في صلاة الجمعة يكتبون الأول فالأول.

* كرجل قدم بَدَنة "نَاقَة أو جَمَل".

* وكرجل قدم بقرة.

* وكرجل قدم شاة.

* وكرجل قدم طيرًا.

* وكرجل قدم بيضة.

فإذا قعد الإمام طُويت الصُّحف.

٩- إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله ﷻ على قدر رواحهم إلى الجمعات، الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد.

١٠- التأخير في حضور الجمعة يؤدي إلى تأخير العبد عن الجنة.

١١- قال رسول الله ﷺ عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة: (لقد هممتُ أنْ آمرَ رجلًا يُصَلِّي بالنَّاسِ؛ ثم أحرّق على رجالٍ يتخلفونَ عَن يَومِ الجُمُعَةِ بيوتَهم). "مسلم وأحمد".

١٢- أنه من ترك ثلاث جمعات من غير عذر طبع الله على قلبه، وكُتب من المنافقين.

١٣- إن مراعاة آداب الجمعة من تعظيم شعائر الله، وآداب الجمعة:

أ - الاغتسال.

ب - التطيب.

ج - لبس أحسن الثياب.

د - عدم تخطي الرقاب.

هـ - الإنصات جيدًا للخطبة.

و - الدنو من الإمام.

ز - قراءة سورة الكهف؛ قال رسول الله ﷺ: (مَن قرأ سورةَ الكهفِ فِي يومِ الجُمُعَةِ أضاءَ لـه مِن النور ما بين الجمعتين) "النسائي".

رسائل إلى الله (٤)

الأستاذ الدكتور

نور الدين أبو لحية

الجمهورية الجزائرية

يا ربنا أنت الخير الأعظم، وأنت صاحب كل فضل ونعمة، ولولاك لم نعرف الابتسامة، ولم نمتلئ بمشاعر الفرح، ولم تغمرنا لحظات السعادة، ولم نعرف في حياتنا إلا الشقاء.

لولاك لضاقت بنا الأكوان، وضاقت بنا الحياة، وكيف لا تضيق ولا أمل إلا معك، ولا سعادة إلا بك؟

فذلك الحنان الذي قابلناه أول ما خرجنا إلى هذه الدنيا لم يكن إلا منك.

الخير الأعظم

إلهي.. يا مصدر كل النعم، ومنبع كل خير..

يا من خاطبت عقولنا وأرواحنا بكلماتك المقدسة، تسألها قائلًا: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]؟

أجل.. يا ربنا، فأنت الخير الأعظم، وأنت صاحب كل فضل ونعمة، ولولاك لم نعرف الابتسامة، ولم نمتلئ بمشاعر الفرح، ولم تغمرنا لحظات السعادة، ولم نعرف في حياتنا إلا الشقاء.

لولاك لضاقت بنا الأكوان، وضاقت بنا الحياة، وكيف لا تضيق ولا أمل إلا معك، ولا سعادة إلا بك؟

فذلك الحنان الذي قابلناه أول ما خرجنا إلى هذه الدنيا لم يكن إلا منك.. فلولا تلك الرحمة التي أودعتها قلوب آبائنا وأمهاتنا، لرمونا، ولما أجهدوا أنفسهم في تحمل عنت الحياة من أجلنا..

وهكذا كل ما رأيناه من مشاعر الود واللطف والحنان.. كلها منك، وبك، فقد كنت أنت الودود، وأنت اللطيف الذي يستعمل كل الوسائل لإسعادنا، وأنت الحنّان الذي يملأ قلوبنا بالفرح والأمل والسعادة.

أما ما نراه أو ما حصل لنا من الآلام، فهي مغمورة في جنب فضلك العظيم، وهي محدودة بزمن محدود، سرعان ما يزول، لتحل بعده نعمك الخالصة التي لا تُنغص، والصافية التي لا تُكدر.

أنا أعلم يا رب أنك ما خلطت هذه الدار بتلك الكدورات إلا لتنبهنا وتربينا وتهذب أخلاقنا.. فقد رأيت بعضهم يغتر بصحته، ويفخر على من حوله بكونه لم يمرض في حياته أبدًا، وبدل أن يشكرك، ويتواضع لعظمتك، راح يستعلي عليك، وعلى خلق الله، ويذيقهم بأس عضلاته المفتولة، وعقله الفارغ.

وهكذا رأيت من الأغنياء ممن رُبي

في أحضان الثروة، يتيه على الفقراء، ويستكبر عليهم، بل يدعو إلى إبادتهم لكونهم لا يختلفون عن البعوض والذباب.

ولو أنه ابتلي بما ابتلوا به، وذاق من ضنك الحياة وضيقها بعض ما ذاقوه لخفف من كبريائه، ولعاد إليه وعيه، لكنك يا رب تبتلي من تشاء بما تشاء.

ولذلك كان من رحمتك وحكمتك أن تضع في الحياة كل الألوان؛ حتى تتميز جميع الصور، ويتميز معها الخبيث من الطيب..

لقد ذكرت ذلك في كلماتك المقدسة، فقلت: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف: ٣٣)[1].

وذكرت أيضًا ذلك الصلف والكبرياء التي تعتري أولئك الجاحدين الذين غمرتهم ببعض فضلك، وبدل أن يشكروك، ويطلبوا المزيد، راحوا ينشغلون بما أعطيتهم، ويتصورون أنه حقهم، ولا يعلمون أنهم مستدرجون، وأنك لم تعطهم إلا لتختبر مواقفهم..

لقد قلت في كلماتك المقدسة تذكر ذلك: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون:٥٥ ـ ٥٦)

بعد أن أظهرت لهم بعض إحساني تقربوا مني، وأظهروا مودتي، لكني بمجرد أن أصابني من بلائك ما منعني من الإحسان إليهم، نفروا مني، ولم يبق إلا الصادقون المخلصون.

لقد تعلمت من ذلك يا رب سر البلاء، وحمدتك عليه؛ لأنك به نبهتني، ولولاه لم أكن لأكتشف الحقيقة، وأميز بين الصحيح والمزيف.

وقلت: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

وهكذا أعلمتنا بأن رضاك ليس في تنزل النعم، وسخطك ليس في تنزل البلاء، وإنما علامة رضاك هي ذلك الرضا الذي نبديه لك، سواء أنعمت علينا، أو ابتليتنا؛ لأنك لم تفعل ذلك بنا إلا لتربينا، وتعلمنا، فالدنيا دار تربية واختبار، وليست دار جزاء واستقرار.

لقد قلت تذكر ذلك، وتفنده: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

وذكرت أن غايتك من كل ما يوجد في الدنيا من أنواع البلاء هو تمييز الصالحين الصادقين من المنافقين الكاذبين.. لقد قلت تذكر ذلك: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

لقد جربت ذلك يا رب مع من يحيط بي من الناس، ذلك أني بعد أن أظهرت لهم بعض إحساني تقربوا مني، وأظهروا مودتي، لكني بمجرد أن أصابني من بلائك ما منعني من الإحسان إليهم، نفروا مني، ولم يبق إلا الصادقون المخلصون، الذين لم يكتفوا بالزهد فيما عندي، وإنما راحوا يطلبون مني أن أتقبل إحسانهم وفضلهم.

لقد عرفت من ذلك سر البلاء، وأنه لولاه لعشت حياتي كلها مخدوعًا بأولئك المنافقين المحيطين بي، والذين لم تكن مودتهم لشخصي، وإنما لذلك الكرم الذي كنت أبديه لهم.

لقد تعلمت من ذلك يا رب سر البلاء، وحمدتك عليه؛ لأنك به نبهتني، ولولاه لم أكن لأكتشف الحقيقة، وأميز بين الصحيح والمزيف.

---

(١) أي لولا أن يعتقد كثير من الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال لجعلنا للذين كفروا ذلك الترف الموصوف في الآية.

E- mail : abdelhalem_ elazmy @ hot mail . com

محمول: ٠١٢٢-٧١٦-٨٠٢٨

٠١٠٦٦-٨٨٠-٧٨٣

الإسراء والمعراج ينصف الصوفية ويكشف ظلمات الوهابية!!

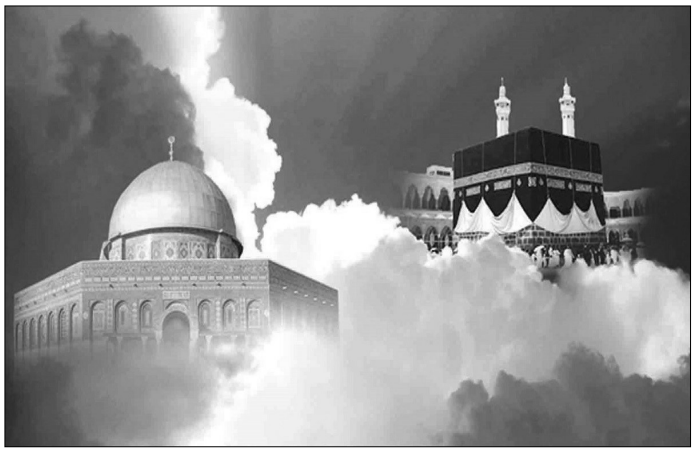

أرسل الله تعالى سيدنا ومولانا محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، واصطفاه ليكون كنزَ الرحمة العامة ومظهرَ الرحمة الخاصة؛ لذلك فالعوالم كلُّها لها قسط من رحمة الله التى تجسدت فيه، وكما تشرفت به العوالم الأرضية تشرفت به العوالم العلوية أيضًا. وعوالمُ الملائكة عُمَّارُ السموات هم الذين شهدوا جمالَ الحقِّ فى آدمَ وسجدوا له، أما ما وراءَ السمواتِ من عوالمَ غيبيةٍ (عالين وأعلى عليين وغيرها) فلم يروا آدمَ ولم يشهدوا جمالَ الحقِّ فيه، قال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص: ٧٥) قال العلماء: عالون نوعٌ من الملائكةِ لم يؤمروا بالسجود لآدمَ، فأراد الله أن يُشْهِدَهُمْ هذا الجمالَ في مظهر.

ومن عظمة هذا الحدث انقسم الناس فيه إلى عدة أقسام:

١- فريق أثبت أن الإسراء والمعراج كانا بالجسم والروح يقظة لا منامًا (وهو الصواب).

٢- فريق قال: إن الإسراء كان بالجسم والروح، والمعراج كان بالروح فقط.

٣- فريق قال: إن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط.

٤- فريق قال: إن الإسراء والمعراج كانا رؤيا منامية.

٥- فريق أنكر المعجزة بالكلية وهم مشركو مكة.

٦- فريق جديد يعتبر الاحتفال بالإسراء بدعة وهم الوهابية وذيولها، ويحاولون منعه..

فقد ذكر عبد العزيز بن باز (مفتى الوهابية السابق) فى كتابه (التحذير من البدع)، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، لسنة ١٤١٢هـ، ص ١٨- ٢٠ ما يلى:

(وهذه الليلة التى حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ فى الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد فى تعيينها فهو ثابت عن النبى ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة فى إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يَجُزْ للمسلمين أن يخصُّوها بشىءٍ من العبادات، فلم يَجُزْ لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبىَّ ﷺ وأصحابَه ﷺ لم يحتفلوا بها ولم يخصُّوها بشىءٍ، ولو كان الاحتفال بها أمرًا مشروعًا لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة إما بالقول أو بالفعل، ولو وقع شىءٌ من ذلك لعُرِفَ واشْتُهِرَ ولنقله الصحابة ﷺ إلينا...) أ.هـ.

السؤال الذى يفرض نفسه بقوة: لماذا تمنع الوهابية وذيولُها الاحتفالَ بالإسراء والمعراج؟

الجواب ينحصر فيما يلى:

❁ يسوء أهل التكفير والتشريك والتبديع الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج ويعدُّون ذلك بدعةً، فى الوقت الذى يحتفلون فيه بمولد ابن عبد الوهاب، ويشد الرحالَ لحضورِ هذا المولدِ كثيرٌ من الأبواقِ الوهابيةِ من أنحاءِ العالمِ العربى.

❁ إن حديثَ الإسراءِ والمعراجِ يبددُ ظلمةَ أهلِ التكفيرِ والتشريكِ والتبديعِ التى تقولُ بمنعِ الصلاةِ والدعاءِ عند الأماكنِ المباركةِ ومشاهدِ الأنبياءِ والأولياءِ، ويعدُّون ذلك شركًا على حدِّ زعمِهم.

❁ أيتها الأبواق الوهابية: عودوا إلى الفهمِ الصحيحِ لهَدْىِ نبيِّنَا، وتأملوا تأدُّبَ الأنبياءِ معه بقولِهم: (مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح) ولم يقولوا: (مرحبًا بمحمدٍ) كما تتبجَّحُون أنتم فى كلامِكم!!.

❁ نرى أن عقيدةَ الصوفيةِ هى العقيدةُ التى نَصَّ اللهُ عليها فى كتابِهِ، وبيَّنَها رسولُ اللهِ فى سنَّتِه، وهى عقيدةُ التوحيدِ الحقِّ، وليس التوحيد المظلوم من المجسمةِ والمشبهةِ.

أولاً: فصل الأمة عن رسول الله ﷺ:

فى أيام شهر رجب المباركة والتى تتوالى علينا باليمن والبركات وبنفحات إسراء النبى ﷺ ومعراجه، وما أكرم الله به حبيبه ومصطفاه، وخصه بمزية الإسراء والمعراج، التى هى فوق المعجزة، حيث إن المعجزة تحتاج إلى أمرين: الأمر الأول: التحدى، والثانى: الإظهار.

وفى إشراق هذه النفحات والتجليات التى تتجدد مع تقلب الزمان وتغير الحدثان يسوء أهل التكفير والتشريك والتبديع الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج ويعدُّون ذلك بدعةً، فى الوقت الذى يحتفلون فيه بمولد ابن عبد الوهاب، ويشد الرحالَ لحضورِ هذا المولدِ كثيرٌ من الأبواقِ الوهابيةِ من أنحاءِ العالمِ العربيّ، وذلك حفاظًا على الإمداداتِ المتواليةِ من شيوخِ النفطِ، وفقًا لما نشرته مجلةُ (الدعوة) التابعة لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر عدد جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ، ص ١٤، وكذلك يحتفلون بعيدِ ميلادِ وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابقة (كونداليزا رايس) وفقًا لما نشرته صحيفةُ (الأخبار المصرية) ٢٠٠٥/١١/١٤م، ويحتفلون بعودةِ الأميرِ سلطانِ بن عبد العزيز من الرحلةِ الفضائيةِ فى مركبةِ (ديسكفرى) وفقًا لما نشرته مجلةُ (الفيصل السعودية) العدد ١٠٢.

والوهابيةُ فى حقيقتِها ما هى إلا امتدادٌ لفكرِ الخوارجِ يقفُ وراءَها الاستعمارُ البغيضُ وتستهدف ما يلى:

- الاستهانةَ بمكانةِ الشخصياتِ الإسلاميةِ، وفصل الأمة عنهم، وليكن على رأسِهم سيدُنا ومولانا محمدٌ ﷺ.
- إبرازَ الإسلامِ فى صورةِ الدينِ الجافِّ الذى لا يقبلُ التطبيقَ فى العصورِ المختلفةِ.
- إيجادَ الفرقةِ والاختلافِ فى صفوفِ المسلمين للحيلولةِ دون وحدتِهم.
- محوَ آثارِ الإسلامِ وتحويلِها إلى قضيةٍ أسطوريةٍ لا جذورَ واضحةً لها فى التاريخِ.

ثانيًا: الإسراء والمعراج يفضح عقيدتهم الفاسدة

أولاً: زيارة روضات الأولياء

حديث الإسراءِ والمعراجِ يؤكدُ مشروعيةَ الصلاةِ فى الأماكنِ المباركةِ وزيارةِ روضاتِ الصالحين:

إن حديثَ الإسراءِ والمعراجِ يبددُ ظلمةَ أهلِ التكفيرِ والتشريكِ والتبديعِ التى تقولُ بمنعِ الصلاةِ والدعاءِ عند الأماكنِ المباركةِ ومشاهدِ الأنبياءِ والأولياءِ، ويعدُّون ذلك شركًا على حدِّ زعمِهم.

ذكر البزار والطبراني والبيهقي والقسطلاني

الأمين العام والمتحدث الرسمي للاتحاد العالمي للطرق الصوفية الدكتور عبد الحليم العزمي

فى المواهب والإمام أحمد فى مسنده وصاحب السيرة الحلبية والنبهاني فى جواهر البحار[1] أن المصطفى ﷺ نزل فى خمسةِ أماكنَ هى:

١- **يثرب**: لما بلغوا أرضًا ذاتَ نخلٍ، قال جبريل عليه السلام: انزل فصلِّ هنا، ففعل. فقال جبريل: صليتَ بطيبةَ وإليها المُهاجرُ.

٢- **مدين**: لما بلغ مدينَ قال جبريل: انزل فصلِّ. ففعل ﷺ. فقال جبريل: صليتَ بمدينَ، حيث عاش شعيبٌ.

٣- **طور سيناء**: لما بلغ طورَ سيناءَ قال جبريل: انزل فصلِّ. ففعل ﷺ. فقال جبريل عليه السلام: صليتَ بطورِ سيناءَ، حيث ناجى الله موسى.

٤- **بيت لحم**: لما بدت أرضٌ لها قصورٌ، قال جبريل: انزل فصلِّ. ففعل ﷺ. فقال: صليتَ ببيتِ لحمٍ، حيث ولد عيسى.

٥- **قبر موسى** عليه السلام: لما مرَّ ﷺ على قبرِ موسى، وهو يصلى فى قبره عند الكثيبِ الأحمرِ، أى: حَيًّا فى عالمِ البرزخِ، قال جبريل عليه السلام: انزل فصلِّ. ففعل.

هذا النزولُ المباركُ يفصلُ فى قضيةٍ مهمة فرَّقت بين الأمةِ، وهى زيارةُ روضاتِ الصالحين، والدعاءُ فى الأماكنِ التى ارتبطت بهم.. فلماذا هذه الأماكن بالذات؟.

الجواب: إن الأرضَ تُبَارَكُ بما يلامسُها من الصالحين، والدليلُ على ذلك أنه لولا هجرةُ المصطفى ﷺ للمدينةِ، ووجودُ روضتِه الشريفةِ بها، لتساوَتْ مع غيرها من الأماكنِ، وما كانت قبلةً تهفو إليها قلوبُ وأفئدةُ المحبين والعاشقين، فالمكانُ الذى سيعيشُ فيه صالحُ (يثرب)، والمكانُ الذى عاشَ فيه صالحُ (مدين)، والمكانُ الذى حدثت فيه كرامةٌ لصالح (طورُ سيناءَ)، والمكانُ الذى ولد فيه صالحُ (بيتُ لحمٍ)، والمكان الذى دُفِنَ فيه صالحُ (قبرُ موسى)، حيث يستحبُّ الدعاءُ فيه، والدعاءُ فيه مقبولٌ.. ومن السنة أن الإنسانَ إذا زارَ روضةَ نبيٍّ أو وليٍّ أن يصلىَّ فيها، أى: يدعو الله تعالى، معتقدًا أن تلك الأماكنَ يستجابُ فيها الدعاءُ، كما ورد فى صحيحِ السنة فى أحاديثِ الإسراءِ.

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

إِذَا كَانَ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بِحُجَّةٍ
دَعَا الْمُصْطَفَى فِى قَوْلِهِ الْبُرْهَانْ
أَلاَ انْزِلْ عَلَى قَبْرِ الْكَلِيمِ وَصَلِّ يَا
ضِيَا الأَنْبِيَا وَالأَمْرُ فِيهِ بَيَانْ
وَفِى بَيْتِ لَحْمٍ فَانْزِلَنْ صَلِّ دَاعِيًا
وَهَلْ بَعْدَ هَذَا حُجَّةٌ بُرْهَانْ[2]

ثانيًا: الكرامة

حديث الإسراءِ والمعراج يبينُ ما أكرمَ اللهُ به أنبياءَه وأولياءَه من كراماتٍ وآياتٍ:

أ- المجاهدون: ففى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار أنه ﷺ مرَّ على قومٍ يزرعون ويحصدون فى يومٍ، كلما حصدوا عاد كما كان، فسأل جبريلَ عليه السلام فقال: هؤلاء المجاهدون فى سبيلِ الله تضاعفُ لهم الحسنةُ إلى سبعمائةِ ضعفٍ ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)[3].

ب- طى الزمان والمكان: يبيّنُ حديثُ الإسراءِ ما أكرمَ الله به رسولَه ﷺ من طيِّ الزمانِ والمسافاتِ، ففى إسرائه ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى وعروجه إلى السمواتِ العُلى إلى سدرةِ المنتهى إلى تكليمِه ربَّه ورؤيتِه وعودتِه ﷺ بالصلاةِ فى جزءٍ بسيطٍ من الليلِ - إشارةٌ إلى طيِّ الزمانِ والمسافاتِ، وليس هذا بعجيبٍ لحبيبِ الله ومصطفاه؛ فإن آصف بن برخيا - تلميذ سيدنا سليمان الذى آتاه الله عِلْمًا من الكتابِ - أحضر عرشَ بلقيسَ فى طرفةِ عينٍ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)، وفى هذه الرحلةِ المباركةِ تلاشَى الزمانُ والمكانُ فى حقِّهِ ﷺ، حيث كان الله ولا شيءَ معه، وهو على ما عليه كان.

ثالثًا: النظرة

حديث الإسراء والمعراج يؤكد قول أهل السنة والجماعة: نظرة يا رسول الله، وإن كره الخوارج الجدد؛ لذلك غاص العلماءُ يكشفون حكمةَ تَرْدَادِ سيدِنا موسى للحبيبِ الأعظمِ ﷺ، وأن المسألةَ ليست وصايةً من موسى ولا قيادةً منه، وخلاصة الأمر:

أن سيدَنا موسَى كان له طلبٌ يتمنَّى أن يحقِّقَهُ ربُّه، ولكنَّ اللهَ ردَّهُ إلى المستقبلِ البعيدِ.. فهو الوحيدُ من الأنبياءِ الذى طلبَ رؤيةَ ربِّهِ، وكان فى شدةِ الأدبِ عندَ طلبِهِ؛ لأنه يعلمُ أنه لا يستطيعُ بنفسِهِ أن يرَى ربَّهُ، كما أنَّهُ طلبَ الرؤيةَ من بابِ أنوار تجلِّيَاتِ الربوبيَّةِ لا الألوهيَّةِ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾. فأنتَ الذى تجعلُنِى أراكَ، والجوابُ: ﴿قَالَ لَن تَرَانِى﴾ ولم يقلْ

لموسَى لن أُرَى، فلم يَنْفِ الرؤيةَ عن غيرِهِ، وأمهلَهُ فى طلبِهِ هذا حتَّى يتحققَ شرطٌ معينٌ: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾ (الأعراف: ١٤٣). فعلِمَ أن الرؤيَا ليستْ له، ولكنْ لعبدٍ لا نظيرَ له بدءًا وختمًا، وقد وعدَهُ ربُّهُ بإجابةِ طلبِهِ فِى المستقبلِ البعيدِ بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَرَانِى﴾، ولكنْ بشرطِ أن يستقرَّ الجبلُ، أى: لا تتحركُ ذرَّاتُهُ، وهذا لا يكونُ إلا عندَمَا يكونُ الزمنُ يساوِى صفرًا، وهذا لم يتحقَّقْ إلا ليلةَ الإسراءِ والمعراجِ، فعَلِمَ موسَى أنَّ وعدَ اللهِ سيتحقَّقُ فى هذهِ الليلةِ، حيثُ يتجلَّى له الحقُّ فى مظهرٍ أكملَ هو سيدُنَا ومولانَا محمدٌ، فظهورُ اللهِ لجميعِ الخلقِ (تجلِّى) أمَّا سيدُنَا محمدٌ فله خصوصيةٌ، قال الإمام أبو العزائم: (رَأَى اللهَ جلَّ اللهُ فى غيبِ غيبِهِ) ولم يقلْ: (رَأَى اللهَ تَجَلَّى اللهُ).. فَافْهَمْ.

ظلَّ موسَى ينتظرُ تحقيقَ وعدِ اللهِ له، وفى ليلةِ الإسراءِ رأَى رسولَ اللهِ عندمَا كان يصلِّى فى قبرِهِ، ورآه معَ الأنبياءِ والمرسلينَ فى بيتِ المقدسِ، ورآه فِى السماءِ السادسَةِ، وتملَّى موسَى بمشاهدتِهِ والتمتعِ بِهِ، ولكنْ صورةُ حبيبِ الحبيبِ فى الخلوةِ الكبرَى والجلوةِ العظمَى، والجمالُ الذِى ألبسَهُ الحقُّ لحبيبِهِ ومصطفَاهُ انبهرَ بِهِ موسَى، وسألَ ما سألَ وتَاهَ عن وعيِهِ، وتمتعَ بالجمالِ الربانيِّ فِى الصورةِ المحمديةِ، وسَكِرَ موسَى من رؤيةِ الجمالِ الذاتيِّ، ولكنَّهُ أفاقَ عندَ سماعِ: (أمضيتُ فريضتِى وخفَّفْتُ عن عبادِى).

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ فى هذا المعنى:

رَأَى فِيهِ مُوسَى نُورَ قُدْسٍ مُنَزَّهٍ
تَمَنَّى يَرَاهُ فِى الكِيَانِ عِيَانَا
فَرْدٌ بِلَنْ وَالْفَرْدُ فَازَ بِفَوْقِهِ
رَأَى فِيهِ مُوسَى الْغَيْبَ مِنْهُ تَدَانَى
يَرْدُدْهُ مُوسَى لِيَشْهَدَ غَيْبَ مَا
تَمَنَّاهُ كَشْفًا جِينَ ذُكَّ مَكَانَا
رَأَى رَبَّهُ الْفَرْدَ الْمُرَادَ مُحَمَّدٌ
تَجَاوَزَ كُنْ حَتَّى تَحَقَّقَ كَانَا
وَمُوسَى لَقَدْ جَعَلَ الصَّلَاةَ وَسِيلَةً
لِيَشْهَدَ نُورًا مُشْرِقًا وَجِنَانَا(٤)

رابعًا: توقير النبى ﷺ

حديث الإسراء والمعراج يؤكد تعظيمَ النبى وتوقيره، خلافًا لما عليه المتمسلفة الوهابيون:

ففى حديث البخارى ومسلم فى افتتاحِ جبريلَ عليه السلام أبوابَ السماءِ مستأذنًا دليلٌ على أن القادمَ عظيمٌ، واستئذانُه - أى جبريل- أشعرَ الملائكةَ بأن الروحَ الأمينَ لا يتقدمُ للاستئذانِ إلا لعظيمٍ فوقَه؛ وذلك ليهتموا بشأنِ من عظمَهُ اللهُ تعالى، ويحظَوْا بشهودِ أنوارِ المجلَى فى هيكلِهِ، كما فازوا بعلمِ الأسماءِ من أبِى مبنَاهُ وابنِ معنَاهُ آدمَ، وفى استئذانِ جبريلَ وأدبِهِ أخذَ الصوفيَّةُ الكُمَّلُ آدابَ المُرْشِدِ والمُسْتَرْشِدِ وآدابَ صحبةِ العارفين وخاصةً الورثةَ من أهلِ بيتِهِ ﷺ، فهل تَرَاهم بذلك خالفُوا هَدْيَ النبيِّ وأدبَ جبريلَ فى صحبتِهِ واستئذانِهِ ووقوفِهِ عندَ مقامِهِ؟!!.

أيتها الأبواق الوهابية: عودوا إلى الفهمِ الصحيحِ لهَدْيِ نبيِّنَا، وقد صدقَ اللهُ إذ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وتأملوا تأدُّبَ الأنبياءِ معه بقولِهم: (مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح) ولم يقولوا: (مرحبًا بمحمدٍ) كما تتبجَّحُون أنتم فى كلامِكم!!.

خامسًا: العلوم الوهبيَّة

حديث الإسراء والمعراج يشير إشارةً صريحةً إلى العلومِ الوهبيَّةِ، التى خصَّ الله بها نبيَّهُ ﷺ، والتى تتقاصرُ عن فهمِهَا الأرواحُ الكاملةُ، فكيف تُدْرِكُهَا الأشباحُ؟!.

ينكرُ أهلُ التَّشريكِ والتكفيرِ والتَّبديعِ من الأبواقِ الوهابيَّةِ ما يبيِّنُه الصوفيَّةُ فى علومِهم ومعارفِهم من علومٍ خصَّ الله بها حبيبَه ﷺ، وغيبيَّاتٍ استأثَرَ بها دونَ غيرِه، وفى حديثِ الإسراءِ حينما صلى بالأنبياءِ بالمسجدِ الأقصَى، وأثنَى كلُّ نبيٍّ على اللهِ بما يعلمُهُ، أثنى ﷺ بثناءٍ خاصٍّ علَّمَهُ الله إيَّاهُ، كما وردَ فى حديثِ أبى هريرة عند الحاكم وصححه البيهقى وذكره القسطلانى فى المواهب(٥): أن الأنبياءَ أثنَوْا على ربِّهم... حتى **قال سيدُنَا محمدٌ ﷺ:** الحمدُ للهِ الذى أرسلنِى رحمةً للعالمين، وكافةً للناسِ بشيرًا ونذيرًا، وأنزلَ علىَّ الفرقانَ فيه تِبْيَانُ كلِّ شىءٍ، وجعلَ أمَّتِى خيرَ أمَّةٍ أُخرجَتْ للناسِ، وجعل أمَّتِى وسطًا، وجعلَ أمَّتِى الأولين والآخرين، وشرحَ لى صدرى، ووضعَ عنِّى وزرِى، ورفعَ ذكرِى، وجعلنِى فاتحًا خاتمًا.

فقال سيدُنا إبراهيمُ: بهذا فَضَلَكُمْ محمدٌ ﷺ.

كان التقاءُ المصطفى بهم فى هذا الجمعِ المباركِ النورانيِّ من بابِ فضلِ اللهِ عليهم، وتطبيقًا عمليًّا لميثاقِ الله الأولِ، وتحقيقًا لبيعةِ اللهِ وميثاقِهِ لهم من قبلُ، ورمزًا للوَحْدَةِ الإيمانيَّةِ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

شهدُوا أنوارَ المصطفَى فى عالمِ الأرواحِ، وفى عالمِ البطونِ، وفى هذه الليلةِ تمتعُوا بجمالِ ربِّ العالمين فى الهيكلِ المحمديِّ.. يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

وَافَى الْبُرَاقُ لأَسْبَابٍ بِهَا حِكَمٌ
لِيَطْمَئِنَّ بِمَعْنًى فِى الْمُشَابَهَةِ
حَتَّى وَصَلْتَ لِبَيْتِ الْقُدْسِ مُنْفَرِدًا
وَالرُّسْلُ بُغْيَتُهُمْ نَيْلُ الْمُشَاهَدَةِ
صُفُّوا وَرَاءَكَ إِذْ أَنْتَ الإِمَامُ لَهُمْ
قَدْ بَايَعُوكَ عَلَى صِدْقِ الْمُتَابَعَةِ
صَلَّيْتَ مُتَوجِّهًا للهِ مُعْتَصِمًا
بِاللهِ حَتَّى بَدَا نُورُ الْمُفَاضَلَةِ(٦)

وفى قوله سبحانَه: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ دليلٌ على أن منَ الوحيِ ما هو مُبْهَمٌ فوقَ الإشارةِ فكيف تبيِّنُهُ العبارَةُ، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقال تعالى: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

سادسًا: اصطلاحات الصوفية

حديث الإسراء والمعراج يشير إلى اصطلاحاتِ الصوفيَّةِ التى اقتبسوها من الكتابِ والسنةِ على سبيلِ الفتحِ الإلهيِّ، والإلهامِ الكشفيِّ عندهم، وليست من أقوالِ الفلاسفةِ كما يدَّعي الوهابيون:

المقام والحال: فى وقوفِ جبريلَ عليه السلام عند سدرةِ المنتهَى إشارةٌ إلى علوِّ مقامِه، وكذلك وجودُ الأنبياءِ فى السمواتِ - فى حديث البخارى ومسلم - يشيرُ إلى أن هذه الأجسامَ الكاملةَ للأنبياءِ والأرواحَ المطلقةَ لها حدٌّ مخصوصٌ ومقامٌ معلومٌ. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ١٦٤)، وهذا ما يسمى بالمقاماتِ عند الصوفيَّةِ، وترقِّي المصطفى ﷺ من سماءٍ إلى سماءٍ إلى أن جاوزَ السبعَ الطباقَ، وتواردِ الأحوالِ والمشاهدِ عليه فى كلِّ سماءٍ يسمى بالأحوال عند الصوفيَّةِ.

التَّخَلِّي والتَّحَلِّي والتَّجَلِّي: إن المشاهدَ والمُثُلَ التى رآها ﷺ فى رحلةِ الإسراءِ كأمثالِ المجاهدين والزناةِ وأكلةِ مالِ اليتيمِ، وأكلة الرِّبَا والمرائين والنمامين - كل هذه المشاهدِ تشيرُ إلى أن السالكَ إلى الله لا بد له من التَّخَلِّي عن الدَّواعِي المُلْهِيَةِ عن الله والتى تقطعُه عن ربِّهِ، ثم يتجملُ بأخلاقِ النبيين، ويتحَلَّي بصفاتِ الصديقين من الرحمةِ والعلمِ والخُلُقِ والحكمةِ، وهذا ما يسمى بالتحَلِّي، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)، فهذه الآيةُ الشريفةُ تشيرُ إلى التحَلِّي بعد التخَلِّي، ثم يأتى بعد ذلك التَّجَلِّي وهو سطوعُ أنوارِ العبادةِ والقربُ من القلبِ فتُمْحَى ظلماتُ الوهمِ والخيالِ والحظوظِ والأهواءِ، وتَثْبُتُ أنوارُ الحقِّ فلا يَرَى إلا اللهُ فى كلِّ شىءٍ عند مُقْتَضَاهُ، وهذا هو التَّجَلِّي، قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

التَّخَلِّي بِالتَّخَلِّي بَعْدَ مَحْوِى لِمَحَلِّي
وَانْفِصَالِي عَن فِعَالِي وَسُرُورِي بِالتَّجَلِّي(٧)

وكثيرٌ من هذه الاصطلاحاتِ كالمَحْوِ والإثباتِ، والغيبةِ والحضورِ معلومٌ مشهورٌ من أحوالِ النبيِّ ﷺ والكُمَّلِ من الصحابةِ والتابعين والوارثين من بعده.

سابعًا: الجنة والنار

يكثرُ الوهابيةُ الحديثَ عن عذابِ القبرِ وأهوالِ يومِ القيامةِ، بينما الإسراءُ والمعراجُ يوازنُ بين الجنةِ والنارِ، فقد سمع النبيُّ ﷺ صوتَ الجنةِ والنارِ، وشم رائحتَهما عند المسجدِ الأقصَى، ورآهما عند سدرةِ المنتهَى، ومشاهدُ الإسراءِ كلُّها رموزٌ لحياةِ الإنسانِ فى الدنيا، والمؤمنُ الصادقُ يشمُّ رائحةَ الجنةِ والنارِ هنا، ويسمعُ صوتَهما أيضًا قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ أى: هنا فى الدنيا، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أى: فى الآخرة. (التكاثر: ٥- ٧).

وقد ورد ذكر الجنة والنار فى الإسراء والمعراج كما يلى:

أولاً الجنة: ثم أتى على وادٍ فوجدَ فيه ريحًا طيبةً باردةً وريحَ مسكٍ، وسمِعَ صوتًا جميلاً، فقال: ما هذا يا جبريل؟. قال: هذا صوتُ الجنةِ تقول: ربِّ آتنِى ما وعدْتَنِى فقد كثُرَتْ غرفِى، واستَبْرَقِى وحَرِيرِى وسُنْدُسِى وعَبْقَرِى ولُؤْلُؤِى ومَرْجَانِى وفِضَّتِى وذهبِى، وأكوابِى وصِحَافِى وأَبَارِيقِى ومَرَاكِبِى وعَسَلِى ومَائِى ولَبَنِى وخَمْرِى. فقال: لَكِ كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ، ومؤمنٍ ومؤمنةٍ. فقالت: رَضِيتُ[٨]. (نتعلمُ هنا: أن نخاطبَ المسلمَ والمؤمنَ بحديثِ الجنةِ)

ثانيًا النار: ثم أتى على وادٍ فسَمِعَ صوتًا مُنْكَرًا، ووجدَ ريحًا مُنْتِنَةً، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوتُ جهنَّمَ تقول: ربِّ آتنِى ما وعدتنِى فقد كَثُرَتْ سلاسلِى وأغلالِى وسعيرِى وحميمِى وضريعِى وغسَّاقِى وعذَابِى، وقد بَعُدَ قَعْرِى واشْتَدَّ حرِّى. قال: لَكِ كلُّ مشركٍ ومشركةٍ، وكافرٍ وكافرةٍ، وجبَّارٍ لا يؤمنُ بيومِ الحساب. قالت: رَضِيتُ[٩]. (نتعلم هنا: أن نخاطب المشرك والكافر والجبار بحديث النار) لكن الوهابية تخاطب المسلم والمؤمن بحديث النار!!.

ثامنًا: النفع من عالم البرزخ

حديث الإسراء والمعراج يبين أن الأنبياء أسبابٌ فى النفعِ بوصفِهم أحياءً بالله:

يؤكدُ حديثُ الإسراءِ أن الأنبياءَ فى حالِ انتقالِهم للحياةِ البرزخيةِ ينفعونَ كما كانوا فى الدنيا؛ إذ إن اللهَ جعلَهم أسبابًا للنفعِ والخيرِ، ولا فرقَ فى ذلك فى كونِ حياتِهم أو مماتِهم.

وهذا خلافًا لقولِ الوهابيةِ أن الأنبياءَ ينفعون فى حالِ حياتِهم فقط، وهذا وقوعٌ فى الشِّركِ عندَهم؛ إذ إن نفعَ الأنبياءِ ليس ذاتيًّا، إنما هو لما يتجلَّى اللهُ عليهم من اسمِهِ النافعِ فى حالِ حياتِهم أو بعدَ انتقالِهم، فالصوفيةُ يثبتون الأسبابَ ويشاهدون فيها مسبِّبَ الأسبابِ.

وفى حديث المعراج أن سيدَنا موسى سأله ﷺ: ماذا فرض الله عليك؟ فأخبره - وفى رواية جابر بن عبد الله عند البخارى قال موسى: بم أُمِرْتَ؟ قال ﷺ: أُمِرْتُ بخمسين صلاةٍ كلَّ يومٍ - إلى أن قال سيدُنا موسى: فارجعْ وسَلْ ربَّكَ التخفيفَ، إلى أن خُفِّفَتِ الصلاةُ من خمسين إلى خمس، وجعلَ ثوابَ الخمسين فى الخمس[١٠]، وسيدُنا موسى فى هذه الحالةِ فى حضرةِ الإطلاقِ حيث إنه انتقل من الحياةِ الدنيويةِ بالموتِ إلى الحياةِ البرزخيةِ، مع ما خصَّهُ اللهُ بهِ من المقاماتِ والدرجاتِ، وهو مع ذلك يكون سببًا فى النفع - أى: فى تخفيفِ الصلاةِ - بقوله: فارجعْ وسَلْ ربَّكَ التخفيفَ، ومن هنا كانتِ الصلةُ بين الأنبياءِ والصالحين، بل إن عامةَ المؤمنين - كما ورد - يسمعون ويشعرون ويدْعُون لإخوانِهم بالصلاحِ والخيرِ والهدايةِ وهم فى عالمِ البرزخِ، كما وردَ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أعمالَكم تُعْرَضُ على أقاربِكُم وعشائرِكُم من الأمواتِ، فإن كان خيرًا استبشِرُوا، وإن كان غيرَ ذلكَ قالوا: اللهُمَّ لا تمتْهُم؛ حتى تهديَهُم كما هدَيْتَنَا) [١١]، والأحاديثُ فى ذلك كثيرةٌ تشيرُ إلى تبادلِ المنفعةِ بين المؤمنين بعضَهُم لبعضٍ فى حالِ الدنيا والحياةِ البرزخيةِ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾ (التوبة: ٧١).

وقال ﷺ: (حياتِى خيرٌ لكم ومماتِى خيرٌ لكم، تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُم، تُعْرَضُ علىَّ أعمالُكُم، فإن وَجَدْتُ خيرًا حَمِدْتُ اللهَ، وإن وَجَدْتُ غيرَ ذلكَ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكُم)[١٢].

تاسعًا: الأولية والنورانية

- ظهرت أولية المصطفى ﷺ فى حديث الإسراء عندما خاطبه السادة: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بقولهم: (السلام عليك يا أول).

- وظهرت نورانيته ﷺ فى حديث الإسراء لما ركب البراق، وهو ينطلق بسرعة الضوء، ولا يتم ذلك إلا إذا كان الراكب نورًا.

وبذلك نرى أن عقيدةَ الصوفيةِ هى العقيدةُ التى نَصَّ اللهُ عليها فى كتابِهِ، وبيَّنَها رسولُ اللهِ فى سنَّتِه، وهى عقيدةُ التوحيدِ الحقِّ، وليس التوحيد المظلوم من المجسمةِ والمشبهةِ.

كلمة أخيرة

الوهابية: فى البدايةِ قالوا: (إما الوهابيَّةُ وإما السيفُ).. ولما قضى عليهم محمد علي باشا قالوا: (الوهابيةُ أو التكفيرُ)، فكفَّروا الشيعةَ والصوفيةَ والأشاعرةَ والماتريدية وغيرَهم؛ حتى لم يبقَ مسلمٌ إلا هُمْ.. وبعد ظهورِ البترولِ أغْروا الفقراءَ والجُهَّالَ بالمالِ.

وأخيرًا أظهرُوا حقيقتَهم: (فالسُّنِّيُّ فى فلسطين إذَا قاوَمَ اليهودَ واستُشْهِدَ فهو منتحرٌ)[١٣].

(والشِّيعِيُّ فى لبنانَ إذا قاوَمَ اليهودَ فهو كافرٌ)[١٤].

إذًا فهُمْ يحمون اليهودَ من السُّنِّيِّ والشِّيعيِّ؛ لأن اليهودَ أشَدُّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا.. هذه هى حقيقةُ من يمنعون الاحتفالَ بالإسراءِ والمعراجِ!!.

أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الرباني، الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله أجمعين.

---

(١) ينظر: سنن النسائى ٢٤١/١- ٢٤٢ حديث ٤٤٩، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان، والمعجم الكبير للطبرانى ٣٣٨/٧- ٣٤٠ حديث ٧١٤٢، الناشر: مكتبة ابن تيمية، وكنز العمال للمتقى الهندى ٤١٣/١٢- ٤١٤ حديث ٣٥٤٥٢، ط٥. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، والمسند الجامع للنورى ٣٩٧/٢- ٣٩٩ حديث ١٤٠٣، ط١. دار الجيل بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢٤١/٢- ٢٤٢، ط٢. دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وسبل الهدى والرشاد ١١٥/٣- ١١٦، والفصول فى سيرة الرسول ﷺ لابن كثير ٢٦٨- ٢٦٩، ط٣. مؤسسة علوم القرآن، مكتبة دار التراث، ١٤٠٣هـ، والسيرة الحلبية ٥١٥/١- ٥١٦، والمواهب اللدنية للقسطلانى ٤٢/٣، ط٢. المكتب الإسلامى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، وجواهر البحار للنبهانى ٣٩٩/٣ - ٤٠٠.

(٢) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبى العزائم ٤٨٢/٢، قصيدة رقم ٤٥٩.

(٣) ينظر: مجمع الزوائد ٢٣٦/١ ح ٢٣٥، والمواهب اللدنية للقسطلانى ٤٣/٣، والسيرة الشامية ١١٦/٣، والسيرة الحلبية ٥١٦/١.

(٤) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبى العزائم ١٧٤/١، قصيدة رقم ٦٩١.

(٥) ينظر: المواهب اللدنية للقسطلانى ٤٥/٣، وسبل الهدى والرشاد ١٢٠/٣- ١٢١.

(٦) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبى العزائم ٢٤٧/٩، قصيدة رقم ٨٨٣٤.

(٧) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبى العزائم ٣٢٨/٨، قصيدة رقم ٧٤٥١.

(٨) ينظر: تهذيب الآثار للطبرى ٤٣٥/٢- ٤٣٦، حديث ٧٢٧، ط. مطبعة المدنى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مسند عبد الله بن عباس، باب ذكر من روى عن النبى ﷺ أنه رأى أرواح من ذكرت من الأنبياء ببيت المقدس دون أجسامهم، ودلائل النبوة للبيهقى ٣٩٧/٢- ٣٩٩، باب الدليل على النبى ﷺ عرج به، ط١. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ومجمع الزوائد للهيثمى ٢٣٦/١- ٢٣٨، حديث ٢٣٥، كتب الإيمان، باب منه فى الإسراء، ط. دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، المواهب اللدنية ٤٤/٣، وسبل الهدى والرشاد ١١٨/٣، والسيرة الحلبية ٥١٨/١.

(٩) ينظر: المصادر السابقة.

(١٠) صحيح البخاري ٥٤/٥ ح٣٨٨٧.

(١١) ينظر: مسند الإمام أحمد ١١٤/٢٠ ح ١٢٦٨٣، والمعجم الكبير للطبرانى ١٢٩/٤ ح ٣٨٨٨، والمعجم الأوسط للطبرانى ٥٣/١ ح ١٤٨، ومجمع الزوائد ٧١/٣ ح ٣٩٣١، وكنز العمال ٦٨٤/١٥ ح ٤٢٨٣٨، ٧٧١/١٥ ٤٣٠٢٩.

(١٢) ينظر: مسند البزار ٣٠٨/٥ ح ١٩٢٥، ومجمع الزوائد ٥٩٤/٨ ح ١٤٢٥٠، وكنز العمال ٤٠٧/١١ ح ٣١٩٠٣، ٤٢١/١٢ ح ٣٥٤٧٠.

(١٣) ينظر: فتوى عبد العزيز آل الشيخ فى مايو ٢٠٠٥م.

(١٤) ينظر: فتوى ابن جبرين فى يوليه ٢٠٠٦م.

أبو مدين الغوث
حياته ومعراجه إلى اللّه
(٣)

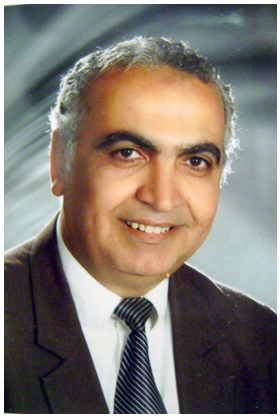

الأستاذ
صلاح البيلي

بقية: اسمه ونشأته

يروي صاحب كتاب (التشوف) أنه لما مات والده عزم على قسمة ما تركه أبوه بينه وبين أخيه، فلما قام إلى ورده اشتغل سره بذلك، فلما أصبح بعث إلى أخيه أبي القاسم وقال له: (احضر الشهود لأتصدق عليك بميراثي)، فلما تمنع هدده بالتصدق به على الجذماء المرضى، فرضخ أخوه وقبل ميراثه كصدقة !

وهذا شبيه بما فعله أبو طلحة الأنصاري حين كان يصلي في بستان له فطارت يمامة وصارت تلمتس مخرجًا، فأعجبه حالها وظل يراقبها ساعة ففتنته عن صلاته، فذهب إلى رسول الله وحكى له ما حدث، ثم تنازل عن بستانه وقال للرسول: (هو صدقة لله فضعه حيث شئت).

وروى ابن حرزهم أنه سأل رب العزة في النوم حاجته، فقال: أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فقال رب العزة: قد فعلت، فكان لا يبالي بشيء، وقد دعا بهذا الدعاء لغيره فنال بركته.

وكان ابن حرزهم من الأولياء الذين أخبروا الناس بقرب وفاتهم، وقال للناس: إنه لن يصوم رمضان المقبل معهم، وقد كان، رغم أنه لم تظهر عليه أعراض المرض.

وكان أبو مدين قد قرأ كتاب (الرعاية لحقوق الله) للحارث المحاسبي على شيخه ابن حرزهم، كما درس عليه كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، وكان الغزالي قد أفاد من كتاب المحاسبي وقرأه، وقال أبو مدين: طالعت كتب التذكير فما رأيت كالإحياء للغزالي، فهو كتاب مبارك، وقد كان أبو الحسن الشاذلي يدرسه لمريديه ويحثهم على قراءته، ويقول: كتاب الإحياء يفيد العلم.

ثم درس أبو مدين كتاب السنن للترمذي، درسه على أبي الحسن بن غالب فقيه فاس، والذي مات سنة ٥٦٨ هجرية، أما علوم الصوفية فقد درسها أبو مدين على الشيخ الصالح أبي علي الدقاق، وكان يقول: أنا أول من أخذ منه الشيخ أبو مدين علم التصوف، وكانت (الرسالة القشيرية) من الكتب المفضلة عند أبي مدين. وألفه عبد الكريم بن هوازن القشيري سنة ٤٣٧ هجرية، وقد أبان الغزالي عن أهمية العلم والعمل للصوفي بقوله:

(أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة؛ حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب

من غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله، وكان العلم أيسر علي من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: (قوت القلوب) لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم..

حتى يقول: (.. فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات.. فعلمت يقينًا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال..).

ومن فضل الله على أبي مدين أن قيض له شيخ التربية والسلوك وكان أبو يعزى، ويقول أبو مدين عن ذلك: (ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات أبي يعزى فذهبت إليه في جماعة توجهت لزيارته، فلما وصلنا جبل أيروجان ودخلنا على أبي يعزى أقبل على القوم دوني، فلما أحضر الطعام منعني من الأكل، فقعدت في ركن الدار، فكلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقمت على تلك الحال ثلاثة أيام، وقد أجهدني الجوع ونالني الذل، فلما انقضت ثلاثة أيام قام أبو يعزى من مكانه فأتيت إلى ذلك المكان ومرغت وجهي فيه، فلما رفعت رأسي نظرت فلم أر شيئًا وصرت أعمى، فبقيت أبكي طول ليلتي، فلما أصبحت استدعاني وقال لي: اقرب يا أندلسي، فدنوت منه فمسح بيده على عيني فأبصرت، ثم مسح بيده على صدري وقال للحاضرين: هذا يكون له شأن عظيم، فأذن لي في الانصراف).

ثم تكررت زيارات أبي مدين لشيخه أبي يعزى حتى قال صاحب كتاب (أنس الفقير): (فنال من بركاته، وشاهد العجائب من كراماته). وكان أبو يعزى لا يجامل بل يفضح الخلق ويقول للزاني: يا زاني، وللسارق: يا سارق، فيتوب الشخص ويرجع إلى ربه، وإذا ما خوطب في ذلك قال: إنه مأمور، وقد جاء كتاب أبي شعيب من أزمور يقول له فيه: (استر عباد الله ولا تفضحهم)، فقال له: (والله لولا أني مأمور بهذا ما فضحت أحدًا ولسترت على الخلق).

كان أبو مدين قد قرأ كتاب (الرعاية لحقوق الله) للحارث المحاسبي على شيخه ابن حرزهم، كما درس عليه كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، أما علوم الصوفية فقد درسها أبو مدين على الشيخ الصالح أبي علي الدقاق.

وروى صاحب كتاب (التشوف) أن مؤذن أبي يعزى خاض فيه مع رجل ووصفه بالجهل؛ لأنه يقول لهذا: زنيت، ولهذا: سرقت، فاقطع كلامه ومنع من الكلام، ثم جاء أبو يعزى، فمسح على حلق مؤذنه فطارت علقة دم وتكلم وتاب إلى الله، فقال له أبو يعزى: مم تتوب يا بني وأنت لم تقل غير الحق، أنا جاهل لا أعرف إلا ما عرفني مولاي.

ويقول صاحب كتاب (أنس الفقير): إن أبا يعزى كان إذا حرث يخرج للضعفاء تسعة أعشار أرضه ويتمسك بالعشر، وكان يقول عن زكاة حرثه: (من سوء أدبي أن أخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار).

وحدث أن سجن سلطان مراكش الشيخ علي بن حرزهم، فقال لتلاميذه إنه لن يمكث في السجن؛ لأن الشيخ أبا يعزى يراه ولن يتركه، وكان بينهما مسيرة خمسة أيام، فأطلق من ساعته.

يقول أبو مدين: (طالعت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى، وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالإحياء للغزالي..).

وكانت وفاة أبي يعزى في شوال سنة ٥٧٢ هجرية.

وجه اختصاص النبي بالمحبة (٤)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، دلَّ على ذاته بذاته، وتنزَّه عن مجانسة مخلوقاته، القريب من خطرات الظنون، والبعيد عن لحظات العيون، والعالم بما كان قبل أن يكون. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، الذي سعدت الدنيا بطلعته، وأنست بمشهده أرواح عالين وأعلى عليين يوم الصعود والعروج في السماء ذات البروج، يوم العلو والتجلي، يوم أن رأى المتجلي. ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومعلمنا ومربي أرواحنا سماحة مولانا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم، وارض اللهم عن خلفائه الأبرار وأهل بيته الطيبين الأطهار.. آمين يا رب العالمين.

بقية: أولاً: من المكنَةِ في المحبة

من علامات محبته ﷻ له ﷺ أن يجعل لأحبابه أيضًا ولكل من له به أدنى صلة مخرجًا في الأزمات.

كما حدث في موضوع عِقْد السيد عائشة رضي الله عنها وهي معه ﷺ في سفر وقد فقد عقدها والتمسه الناس (أي بحثوا عنه) بمكان لم يكن فيه ماء ولم يكن معهم ماء فحبسوا إلى أن حانت الصلاة وبحثوا عن ماء، فعلم الصديق رضي الله عنه فزجر ابنته أم المؤمنين رضي الله عنها، وقال لها: حبستي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه عن الصلاةِ بسبب هذا العِقد؟.

فنزلت آية التيمم ليس لعذر وليس لضرورة، وإنما كان بسبب فقدان العقد وهي مسألة دنيوية بحته، لكن ترتب عليها حكمًا شرعيًّا ألا وهو التيمم عند فقد الماء، فهذا من علامات محبة الله ﷻ للحبيب ﷺ أنه يوجد المخرج ليس لنفسه ﷺ فقط بل لكل من له به أدنى صلة.

ومن هنا نقول: أرأيتم لو توسل به محب له ﷺ إلى الله ﷻ هل يرد؟.

إذن من له تعلق صادق به ﷺ بعد أن رأينا مسارعة الحق ﷻ في مرضاة حبيبه ﷺ إذن من أحب الحبيب ﷺ أحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

الله؛ لأنه لا يعقل أن الله يري حبيبًا لحبيبه ولا يحبه.

ومن علامات حب الحبيب أن نحبَ ما يحبُّه الحبيبُ، كحبه لأهل بيته الكرام وأصحابه، وأن نحب الأشياء التي كان يحبها الحبيب، وأن نحب هدي الحبيب، وأخلاق الحبيب، ووصف الحبيب، وسمت الحبيب، وشعره، وعينه، وأذنه، والحق ﷻ أحب الحبيب فوصف جوارحه في القرآن الكريم.

وصف صدره ﷺ فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وصف يده ﷺ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠).

ووصف أذنه ﷺ: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (التوبة: ٦١).

ووصف عينيه ﷺ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٧).

ووصف قلبه ﷺ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (البقرة: ٩٧).

ووصف قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣).

ووصف وجهه ﷺ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

ونروّح الأرواح بالمراد الأعظم ﷺ من مواجيد الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه:

صَلِّ يَارَبِّي وَسَلِّمْ
عَلَىٰ ٱلنَّبِي طَهَ ٱلسَّعِيدْ
لَا وَحَقِّكَ لَا أُحِبُّ
أَنْ أَكُونَ كَمَا أَرِيدْ
بَلْ مُرَادِي مِنْكَ أَنِّي
عَنْ مُرَادِكَ لَا أَحِيدْ
يَامُرَادِي بَلْ وَغَوْثِي
أَنْتَ لِي رُكْنٌ شَدِيدْ
عَنْ ثَنَائِكَ قَدْ عَجَزْنَا
وَٱلأَيَادِي قَدْ تَزِيدْ
قَدْ وَهَبْتَ ٱلْكَوْنَ طُرًّا
مَحْضَ فَضْلِكَ يَامَجِيدْ

فضيلة الشيخ علي الجميل
واعظ مركز رشيد

*** من علامات حب الحبيب أن نحبَ ما يحبُّه الحبيبُ، كحبه لأهل بيته الكرام وأصحابه، وأن نحب الأشياء التي كان يحبها الحبيب، وأن نحب هدي الحبيب، وأخلاق الحبيب، ووصف الحبيب، وسمت الحبيب، وشعره، وعينه، وأذنه، والحق ﷻ أحب الحبيب فوصف جوارحه في القرآن الكريم.**

أَنْتَ أَوْجَدْتَ ٱلْعَوَالِمْ
وَغَدًا أَنْتَ تُعِيدْ
وَبِفَضْلِكَ أَوْ بِعَدْلِكْ
ذَا وُصُولٌ أَوْ صُدُودْ
فَلَظَى بِٱلْعَدْلِ تُولِي
وَٱلنَّعِيمُ لِمَنْ تُرِيدْ
لَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدُ مَالٌ
لَا وَلَا يَجْزِي ٱلْوَلِيدْ
غَيْرَ إِحْسَانٍ وَجُودٍ
مِنْكَ حَتْمًا قَدْ يُفِيدْ
وَحِمَىٰ طَٰهَ ٱلتِّهَامِي
يَحْتَمِي فِيهِ ٱلْعَبِيدْ
عِنْدَهَا يَأْتِي ٱلْمُشَفَّعْ
فَيُوَافِينَا ٱلسُّعُودْ
وَلَدَىٰ ٱلْعَرْشِ يُنَادِي
يَارَحِيمًا يَاوَدُودْ
أُمَّتِي وَٱلنَّاسُ طُرًّا
فَيُنَادِيهِ ٱلْحَمِيدْ
يَاحَبِيبِي قَرَّ عَيْنًا
فَأَنَا ٱلْبَرُّ ٱلْوَدُودْ
يَاحَبِيبِي يَامُحَمَّدْ
قَدْ وَهَبْتُكَ مَا تُرِيدْ
قُمْ إِلَى ٱلنَّارِ وَطَأْهَا
وَٱنْهَ وَٱمُرْ يَاسَعِيدْ
وَتَمَنَّىٰ تُعْطَ مِنَّا
وَيُوَافِيكَ ٱلْمَزِيدْ
أُمَّتِي فَضْلاً وَكَرَمًا
بِٱلسَّمَاحِ لَهَا تَجُودْ
قَالَ: دَارُ ٱلْخُلْدِ عِنْدِي
وَلَهُمْ عِنْدِي ٱلشُّهُودْ
فِي ٱلضُّحَىٰ يَاعَرْشَ وَصْفِي
قَدْ وَعَدْتُ وَلَا أَحِيدْ
لَوْ تُرِدْ أَطْفَأْتُ نَارِي
أَوْ تُرِدْ يُمْحَىٰ ٱلْوَعِيدْ
أَنْتَ أَصْلُ وُجُودِ كَوْنِي
بَلْ وَأَنْتَ بِهِ ٱلْوَحِيدْ
مِنْكَ أَوْجَدْتُ ٱلْعَوَالِمْ
وَأَضَاءَ بِكَ ٱلْوُجُودْ

أسس منهج الإمام أبي العزائم في تقرير عقيدة السلف

(١١)

مقدمة

تكاد كلمة المسلمين تتفق على أن المعارف التي يجب على المسلم استيعابها هي: أصول الدين، وأحكام الشريعة.

وإن كانت المعرفة - بشكل عام - مطلوبة، ومرادة، وبكل فروعها، فيما يتعلق بالكون والحياة، وبخاصة ما يرتبط بالجوانب الاجتماعية والإنسانية التي تحدد علاقة الإنسان ببني نوعه، وذوات جنسه من كافة المخلوقات، كالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، التي استقطبت جهودًا جبارة من المصلحين، وفي مقدمتهم الأنبياء والأئمة، والعلماء، والصالحين من الناس.

عناية الإمام بتعريف بعض المصطلحات في علم العقيدة

نجد من المناسب هنا، أن نعرج على بعض المصطلحات التي كانت تتردد على ألسنة المتكلمين، ونبين موقف الإمام منها، والقيمة المنهجية لها عنده.

الأمر المهم الذي يجب أن نضعه أمام القارئ أن الإمام غالبًا ما يحاول أن يكون خلفية لكثير من التعبيرات المتداولة على ألسنة المتكلمين، وعند نقاشه الصفات، يكثر من الاهتمام بهذا الجانب ويعده أساسًا منهجيًّا مهمًّا، فلا بد أن يعرف الصفة قبل أن يخوض في المسألة فيقول: "البقاء: هو صفة سلبية معبر بها عن سلب معنى لا يليق به تعالى، وهو عدم الآخرية"(١). ويعرف الإمام العلم فيقول: "هو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض"(٢).

وعند نقاشه مسألة الإمامة، يعرف الإمامة فيقول: "هي عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله ﷺ في إقامة الأحكام الشرعية وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة"(٣)، وهو هنا يلجأ إلى تعريف هذا المصطلح عند مناقشة أمر الخلافة بعد رسول الله ﷺ والأمر فيها مشهور، في حين نجده ينبه إلى أن بعض المصطلحات تحتاج إلى توضيح، ففي توضيح ما قاله الإمام الغزالي في كتابه المعروف بالتهافت يقول: "ويظهر من ذلك أن ما حدا بالإمام الغزالي إلى الاختلاف؛ أنه جعل اسم العلم مقولًا على المتقابلات، مثل الجلل الذي يعبر به عن العظيم والصغير، والصريم الذي يعبر به عن الضوء والظلمة، ولكن العلم هنا لا يشمل القديم والحادث"(٤)، إن هذا المنهج في بيان المصطلحات يقوده إلى رسم خطوط واضحة لمسار فقرات كثيرة من كتبه، ويتخذه طريقة للتعبير، وفي الوقت نفسه الذي يكون للبيان

والتدليل.

لقد أقام الإمام أبو العزائم ﷺ عقيدته على أساس من البيان اللغوي والبلاغي، فجاءت عقيدته قوية في بابها، رائعة في ميدانها، محكمة في بنيانها. لقد اعتنى الإمام أبو العزائم اعتناءً شديدًا باللغة، وجعلها من أدوات منهجه، ولذلك لا يعجب القارئ عندما يجد هذه العناية منه بكل جوانب اللغة بألفاظها وتراكيبها وبلاغتها وسبل الاشتقاق فيها مقارنة بغيرها من اللغات، واللغة عنده وسيلة إيضاح وتقريب، وعند أخذ نموذج لهذا الجانب، يتبين لنا اهتمام الإمام الواضح فيه، فهو عندما يبحث مسألة: المفاضلة بين سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما السلام يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٥٣) فالإمام باستناده لهذه الآية يقول: "يذكر الله تعالى بنى إسرائيل بالنعم العظمى التى تفضل بها عليهم. والمعنى يقول الله تعالى: اذكروا يا بنى إسرائيل إذا آتينا موسى الكتاب والفرقان، وفى قوله تعالى: ﴿آتَيْنَا﴾ إشارة إلى أن ما آتاه الله موسى عليه السلام عام له ولقومه، بخلاف قوله تعالى: ﴿أعطينَا﴾، فإن الذى يعطيه لعبده خاص به كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١)؛ أي خصصناك بهذا الإعطاء"[٥].

د. سامي عوض العسالة
مدير عام بوزارة الأوقاف

ومما تقدم يتضح بجلاء الجهود الطيبة التي بذلها في هذا المجال، حيث إنه استفاد استفادة عظيمة من اللغة لبيان قيمة منهجه العلمي في مناقشة العقائد المختلفة، التي سادت الساحة الفكرية الإسلامية الأمر الذي يعطينا تقييمًا حقيقيًّا لنتاجه هذا وإبداعه فيه.

*** لقد أقام الإمام أبو العزائم ﷺ عقيدته على أساس من البيان اللغوي والبلاغي، فجاءت عقيدته قوية في بابها، رائعة في ميدانها، محكمة في بنيانها.**

وربما فاجأنا الإمام أبو العزائم ببحث لغوي يعد قاموسًا لمعانى الكثير من الألفاظ فى العقيدة والفلسفة، فيعرف فى كتابه معارج المقربين: (الجسم المطلق) و(الجوهر) و(المحدث) و(الإحداث) و(العقل الأول) و(النفس) و(الإرادة) و(الصفة) و(العقل الإنساني) و(الجنس) و(النوع) و(الشخص) و(الخاصة)[٦].

وهذا نموذج توضيحي لذلك: يقول طيب الله تعالى ثراه: "إذا قيل لك: ما (الجسم المطلق) فيقال: جوهر بسيط قابل للصورة، فإن قيل: ما (الصورة)؟ فيقال: ماهية الشيء وله الاسم والعقل والقيمة، فإن قيل: فما (الجوهر)؟ فيقال: هو القائم بنفسه القابل للصفات، فإن قيل: فما (الصفة)؟ فيقال: عرض حال في الجوهر لا كالجزء منه..."

وهكذا يحدد مفهوم هذه اللفظة ليصل إلى تعريف سرعان ما يسيطر به على فكر القارئ، بل إنه حريص على توضيح الحقيقة كاملة للقارئ، لكي يتبين له ماهية هذه الألفاظ ومدلولها اللغوي مما قاده إلى الاستعانة بعلوم اللغة المختلفة والمتشعبة.

---

(١) كتاب الإسلام دين الله: ص٣٣.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٣) النور المبين ص ١٧٣.
(٤) عقيدة النجاة ص ٢١.
(٥) أسرار القرآن للإمام أبي العزائم ج ١ ص١٣٨.
(٦) معارج المقربين للإمام أبي العزائم ص ٣٢.

۞ ماذا عن زواج المرأة العربية برجلين في وقت واحد؟.

.. وعن زواج المرأة بالمرأة؟.

.. وما هو الزواج الحقيقي الذي غاب عن الأذهان؟!.

محمد الشندويلي

نشر في أحد مواقع التواصل الاجتماعي - ما أثير عن علاقات محرمة منسوبة إلى الزواج - أن امرأة من دولة عربية في الشمال الإفريقي عقدت زواجًا على رجلين في وقت واحد..

والسؤال ما الحكم الفقهي في تعدد الأزواج في عقد واحد لامرأة واحدة؟..

هذا السؤال طرحته على الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، فكان رد فضيلته:

"إن هذه من أنكحة الجاهلية المجرَّمة والمحرَّمة، أن المرأة تعدد الأزواج في عقد واحد سواء عاش الزوجان معها أو كان كل واحد على حدة..

المهم أن هذه المرأة متزوجة من رجلين في زمن واحد – حتى لو كان أحدهما يسبق الآخر في الزواج – وهذا ما يمكن أن نسميه علاقة بين رجلين غير شرعية.

ومن أنكحة الجاهلية المحرمة – نكاح الرهط – وهو إصابة المرأة مع أكثر من رجل.. وهذه تسمى علاقة جنسية محرمة وذلك برضا منها.. وتواطئ بينهم.. ونكاح الرهط هو اشتراك رجلين أو أكثر في نكاح امرأة واحدة.

وهناك نوع آخر من أنكحة الجاهلية يسمى "نكاح الاستبضاع"، وهو أن الزوج يرسل زوجته بعد أن تنتهي فترة الحيضة لرجل آخر؛ حتى تعاشره ويعاشرها وتحمل منه لتخرج من هذا الزوج الديوث لتنتقل الصفات الوراثية.. هذا الرجل وهذا النوع من العلاقة ورد الدليل النصي على التحريم، قال الله ﷻ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ...﴾ (الأنعام: ١٢٠).

وجه الدلالة: ظاهر الإثم، أي ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الأفعال المحرمة: نكاح الرهط، ونكاح الاستبضاع، ونكاح الرايات، وما إلى ذلك...

ومن أدلة تحريم تعدد الأزواج للمرأة الواحدة خبر السيدة عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه البخاري، روت أن النكاح كان في الجاهلية على أربعة أنحاء:

نكاح الرهط، ونكاح الاستبضاع، ونكاح الرايات، ونكاح الخدن، وهو نكاح الصداقة بين الرجل والمرأة؛ أي يفعلن الفاحشة سرًّا وهو محرم.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وجه الدلالة: زجر الله تعالى عن الوطء؛ إلا عن زواج صحيح وملك يمين.

لماذا اختارت السيدة زينب عليها السلام الهجرة إلى أرض مصر؟

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وعودة نساء أهل البيت من الشام، واصلَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ الكُبْرَى عليها السلام حَديثَ كَرْبَلاءَ لِنِسَاءِ المَدِينَةِ، اللَّاتِي نَقَلْنَ الأَخْبَارَ لِرِجَالِهِنَّ، فامْتَلأَتِ القُلُوبُ غَيْظًا عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ؛ مِمَّا جَعَلَ حَاكِمَ المَدِينَةِ عَمْرَو بنَ سَعِيدٍ يَرْفَعُ التَّقَارِيرَ إِلَى يَزِيدَ ويُخْبِرُهُ عن نَشَاطَاتِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ، ويُنْذِرُهُ بالانْفِجَارِ، وانْفِلَاتِ الأَمْرِ من يَدِهِ، قَائِلاً: إنْ كانَ لكَ في المَدِينَةِ حَاجَةٌ فأَخْرِجْ مِنْهَا زَيْنَبَ.

فماذا كانَ جَوَابُ يَزِيدَ؟.

نُسِبَ لابنِ الأثِيرِ في الكَامِلِ، والأصْفَهَانِيِّ في مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ، أَنَّهُمَا ذَكَرَا رَدَّ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ عَلَى وَالِي المَدِينَةِ بقَوْلِهِ: أَخْرِجْ زَيْنَبَ مِنَ المَدِينَةِ، وفَرِّقْ البَقِيَّةَ البَاقِيَةَ مِنْ آلِهَا في الأَمْصَارِ والأَقْطَارِ.

والحِكْمَةُ الإلهِيَّةُ في هذا الأَمْرِ: أنْ يَعُمَّ نُورُهُمْ أَرْجَاءَ المَعْمُورَةِ، ولا يَسْتَطِيعُ عَدُوٌّ أنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ بعدَ ذَلِكَ.

إذًا أَمَرَ يَزِيدُ بإبْعَادِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ مِنْ مَدِينَةِ جَدِّهَا الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم، فنَادَى حَاكِمُ المَدِينَةِ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ عليها السلام بالخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ والإقَامَةِ حَيْثُ تَشَاءُ إلَّا مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ؛ لأَنَّ القَوْمَ رَغْمَ قُوَّتِهِمُ المَادِيَّةِ يَخَافُونَ من لِقَاءِ عَقِيلَةِ بَنِي هَاشِمٍ معَ الحَجِيجِ وفَضْحِ جَرَائِمِ بَنِي أُمَيَّةَ.

فقَالَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ عليها السلام - ما ذَكَرَهُ السَّيِّدُ القَزْوِينِيُّ في كِتَابِهِ (زَيْنَبُ الكُبْرَى مِنَ المَهْدِ إلى اللَّحْدِ)، والعُبَيْدِلِيُّ في كِتَابِهِ (أَخْبَارِ الزَّيْنَبَاتِ)[1]-: (قد عَلِمَ اللهُ ما صَارَ إلَيْنَا، قُتِلَ خَيْرُنَا، وانْسَقْنَا كَمَا تُسَاقُ الأَنْعَامُ، وحُمِلْنَا على الأَقْتَابِ[2]، فواللهِ لا خَرَجْنَا وإنْ أُهْرِيقَتْ دِمَاؤُنَا).

إذًا، امْتَنَعَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ عَنِ الخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ؛ لأَنَّهَا لا تَهَابُ المَوْتَ، ولا تَخَافُ مِنْ أيِّ رِجْسٍ مِنْ أُولَئِكَ الأَرْجَاسِ، ولكنَّ عَدَدًا مِنَ السَّيِّدَاتِ الهَاشِمِيَّاتِ اجْتَمَعْنَ عِنْدَهَا، وذَكَّرْنَهَا بيَزِيدَ وطُغْيَانِهِ، وأنَّهُ لا يَخَافُ اللهَ تعالَى، ومِنَ المُمْكِنِ أنْ تتَكَرَّرَ فَاجِعَةُ كَرْبَلاءَ، بأنْ يَأْمُرَ الوَالِي بإخْرَاجِ السَّيِّدَةِ مِنَ المَدِينَةِ قَسْرًا وجَبْرًا، فيَقُومَ بَعْضُ مَنْ تَبَقَّى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لأَجْلِ الدِّفَاعِ، وتَقَعَ الحَرْبُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، وتُقَامَ المَجْزَرَةُ الرَّهِيبَةُ.

فقَالَتْ لَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَقِيلِ بنِ أبي طَالِبٍ: يا ابْنَةَ عَمَّاهُ!! قد صَدَقَنَا اللهُ وَعْدَهُ، وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ نَشَاءُ، فطِيبِي نَفْسًا، وقَرِّي عَيْنًا، وسَيَجْزِي اللهُ الظَّالِمِينَ.

أتُرِيدِينَ بَعْدَ هذَا هَوَانًا؟!. ارْحَلِي إلى بَلَدٍ آمِنٍ.

ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ، وتَلَطَّفْنَ مَعَهَا في الكَلامِ، ووَاسَيْنَهَا.

فقَرَّرَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ الكُبْرَى عليها السلام الهجرة إلى بِلادِ مِصْرَ.

لِمَاذَا اخْتَارَتِ العَقِيلَةُ مِصْرَ؟!!

أَوَّلًا: لِمَا سَمِعَتْهُ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لآلِ البَيْتِ ووَلائِهِمْ ومَوَدَّتِهِمْ لذَوِي القُرْبَى، مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ إلى هذَا اليَوْمِ، والسَّبَبُ في ذلكَ أنَّ أَفْرَادًا مِنَ الخَطِّ المُوَالِي للإمَامِ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام كانُوا قد حَكَمُوا مِصْرَ في تِلْكَ السَّنَوَاتِ، أَمْثَالَ: قَيْسِ بنِ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، ومُحَمَّدِ بنِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما.

ثَانِيًا: لِمَا تَعْرِفُهُ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مِنْ أنَّ مِصْرَ كِنَانَةُ اللهِ في أَرْضِهِ، مَنْ أَرَادَهَا بسُوءٍ قَصَمَهُ اللهُ، وقد جَاءَ في كِتَابِ اللهِ تعَالَى ذِكْرُ مِصْرَ بقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧)، وكذَلِكَ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩)، وغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ.

ثَالِثًا: لِمَا سَمِعَتْهُ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مِمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، ورَوَاهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ مِنْ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَوْصَى بأَهْلِ مِصْرَ فقَالَ: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ[3] فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)[4]، وفي حَدِيثٍ آخَرَ: (ذِمَّةً وصِهْرًا)، إضَافَةً إلى تَبْشِيرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم صَحَابَتَهُ بفَتْحِهَا، وتَنْوِيهِهِ بجُنْدِهَا، وتَوْصِيَتِهِ بأَهْلِهَا خَيْرًا، وأنَّهُمْ في رِبَاطٍ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

رَابِعًا: اخْتَارَتِ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مِصْرَ؛ لتَكُونَ في شَرَفِ اسْتِقْبَالِ رَأْسِ أَخِيهَا الإمَامِ أبي عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنِ عليه السلام، فقد نُسِبَ لابنِ الأثِيرِ في الكَامِلِ[5] أنَّ وَالِي المَدِينَةِ سَأَلَهَا: لماذَا اخْتَرْتِ مِصْرَ؟ فقَالَتْ: (لأكُونَ وأنَا في بَرْزَخِي بَعْدَ سَنِينَ تَمْضِي، في شَرَفِ اسْتِقْبَالِ رَأْسِ أَخِي الحُسَيْنِ الذي سَوَّدْتُمْ تَارِيخَكُمْ بدَمِهِ الطَّاهِرِ البَرِيءِ).

خَامِسًا: اخْتَارَتِ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مِصْرَ؛ لأَنَّهَا كَنْزُ الخِلافَةِ، وفِيهَا سَتُقَامُ دَوْلَةُ أَهْلِ البَيْتِ في آخِرِ الزَّمَانِ، وهي خِتَامُ الدُّوَلِ في الإسْلامِ، إنَّهَا دَوْلَةُ العَدْلِ والقِسْطِ والهُدَى والنُّورِ، فمُنْذُ أنْ سَلَّمَ الإمَامُ الحَسَنُ عليه السلام الأَمْرَ إلى مُعَاوِيَةَ تَعَاقَبَتْ عَلَى المُسْلِمِينَ الدُّوَلُ، وكَثُرَ فِيهَا القَتْلُ والظُّلْمُ.

---

(1) ينظر: زينب الكبرى للقزويني ص٥٢٥-٥٢٦، وص٦١٣-٦١٤، وأخبار الزينبات للعبيدلي ص١١٥-١١٧.

(2) القَتَبُ: رحل صغير على قدر سَنام البعير.

(3) وحدة من وحدات الوزن المستخدمة في مصر في النقود.

(4) ينظر: صحيح مسلم ١٩٧٠/٤ ح٢٢٦.

(5) لم أعثر على النص عند ابن الأثير حتى الآن.

سوف تقام بالقاهرة ليلة أهل البيت:

١- الثالثة والسبعون بعد المائة يوم الجمعة ٥ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠٢٣/١/٢٧م.

٢- الرابعة والسبعون بعد المائة يوم الجمعة ٤ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠٢٣/٢/٢٤م.

غاية الإنسان في الحياة

بين التوحيد الإسلامي والعقائد الجاهلية

الحلقة التاسعة

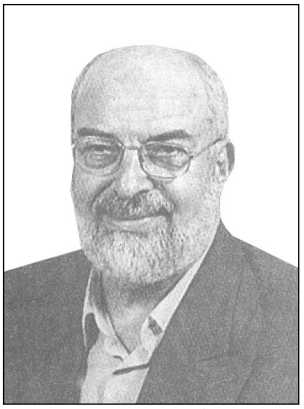

المرحوم الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

مقدمة

بيَّنَّا اللقاء الماضي أن الإنسان إذا لم يحقق عبوديته لله فإنه يضيع سيادته في الأرض؛ لأنه سيسقط بالضرورة في عبوديته لغير الله، ومن ثم يفقد سيادته على هذا الغير، وبالتالي يصعب عليه أن يكون عبداً لله ﷻ .. وفي هذا المقال نواصل الحديث فنقول:

بقية: الدين والعلم مقوما الخلافة وليسا متعارضين في الإسلام

بناء على ما تقدم في المقال السابق يتعين علينا أن نسأل الآن:

كيف يحقق الإنسان خلافته لله في الأرض، وكيف يحققها لغير الله ﷻ؟!.

وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إذا كانت الخلافة عبودية وسيادة، فإن هذا السؤال يصبح عندنا سؤالين:

الأول هو: كيف يحقق الإنسان عبوديته لله تعالى، وكيف يحققها لغير الله ﷻ؟.

والثاني هو: كيف يحقق الإنسان سيادته على الأرض؟.

أما بالنسبة للعبودية، فإن الله ﷻ قد خلق الإنسان عبدًا، فهو لا يمكن إلا أن يكون عبدًا، فعبوديته أمر جبري جبلي لا يستطيع تغييره، بيد أن الله ﷻ جعل عبودية الإنسان محور ابتلائه أو هي أساس ابتلائه في هذه الحياة الدنيا، فترك له حرية اختيار المعبود، أي يستطيع الإنسان أن يصرف عبوديته لله وحده فيصبح عبدًا لله، ويستطيع أن يجعل عبوديته لله ولغيره فيصبح مشركًا، ويستطيع أن يجعلها ويصرفها لغير الله فيكون كافرًا، ولكنه في كل الأحوال عبد، بيد أنه يحدد معبوده باختياره، فإما أن يكون – نتيجة لممارسة هذا الاختيار – عبدًا لله وحده أو عبدًا لسواه.

ومعنى هذا أنه إن لم يجعل الإنسان عبوديته لله وحده ويقصر العبادة على الله ﷻ ويفرده بها - سقط بالضرورة في عبوديته لغير الله. فليس معنى أن يرفض الإنسان عبادة الله أنه يتحرر من العبودية، بل هو يسقط في عبوديته لغير الله ﷻ، فتحرر الإنسان من العبودية مطلقًا مستحيل؛ لأنه مخلوق وكل المخلوقين بمقتضى الخلقة عبيد الله، ويتفرد عنهم الإنسان بأن الله ﷻ قد جعل عبوديته محل ابتلاء فلم يخلقه عبدًا له، وإنما خلقه عبدًا مخيرًا في صرف عبوديته لله أو لغيره، فإذا لم يجعلها الإنسان لله وقع بالضرورة في عبوديته لغيره، سواء عبد الهوى أو الشيطان أو الحاكم أو المال أو

الوثن أو أية حالة يكون عليها الطاغوت.

ومن ثم فلا سبيل أمام الإنسان لتحرير ذاته من كل هذه المعبودات والطواغيت والأوثان المادية سوى تعبيدها لله وحده.

أما كيفية تحقيق العبودية لله وحده، فإنه بكلمة واحدة: بالدين.

فالتكليف الإلهي للإنسان هو المنهج القويم الصحيح والوحيد لتحقيق العبودية لله ﷻ، وعندما نقول: الدين؛ فإننا نعني به الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩).

وحيث إن الإنسان لا يعيش كذات منفردة فقط، بل هو يعيش كمجتمع أيضًا، ولا غنى لحالة عن الأخرى فإن العبودية – التي خلق الله ﷻ عليها الإنسان – عبوديتان:

الأولى: هي العبودية الفردية.

الثانية: هي العبودية الاجتماعية.

ومن ثم يتعين على الإنسان أن يعبد الله كفرد وأن يعبده كمجتمع.

وحيث إن الحياة الاجتماعية تتمثل في نسيج العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات، مضافًا إليها المعاملات والأنظمة القائمة على هذه العلاقات، فإن العبودية الاجتماعية تكمن في تطبيق هذه الأنظمة والمعاملات.

فإذا أراد مجتمع ما تحقيق عبوديته لله، فيجب على الأفراد أن يحققوا عبوديتهم الفردية لله أولًا، ثم عليهم أن يخضعوا في علاقاتهم ومعاملاتهم وأنظمة ومناهج حياتهم العامة، لإرادة الله التشريعية.

أما إذا توجه الناس في مجتمع ما بعبوديتهم لغير الله، وخضعوا في معاملاتهم وعلاقاتهم وأنظمتهم الاجتماعية لشرائع وضعية ومناهج بشرية: برلمانية أو اشتراكية، أو ماركسية أو غيرها، فإنهم بذلك يكونوا عابدين لغير الله ﷻ؛ لأنهم يخضعون بهذه المناهج الوضعية لأصحابها ولمن وضعوها، ومن ثم يصبح الإنسان في مثل هذا المجتمع خليفة لغير الله حيث الأساس في الخلافة هو العبودية.

إذا أراد مجتمع ما تحقيق عبوديته لله، فيجب على الأفراد أن يحققوا عبوديتهم الفردية لله أولًا، ثم عليهم أن يخضعوا في علاقاتهم ومعاملاتهم وأنظمة ومناهج حياتهم العامة، لإرادة الله التشريعية.

ومنهج تحقيق العبودية الفردية في الإسلام: هو الشعائر التعبدية.

ومنهج تحقيق العبودية الاجتماعية: هو الشريعة الإسلامية، أو النظم الاجتماعية الإسلامية.

أما تحقيق السيادة فيقوم على ركيزتين:

الأولى: وهبها الله للإنسان، فهي ركيزة ذاتية، وتتمثل في الفاعلية الإنسانية، التي تعمل بترشيد من العلوم التجريبية، التي تمكن الإنسان من توسيع دائرة عمله وتأكيد وترسيخ وتقوية فاعليته، فعلم الأسماء يدخل مقومًا أساسيًّا في هذه الركيزة؛ لأن العلم التجريبي ليس سوى معرفة خصائص الأشياء والقوانين التي تحكم العلاقات والتأثيرات بينها، فإذا عرف الإنسان طبيعة الشيء أو الحي وخصائصه وتأثيره وتأثره بغيره، استطاع تسخيره له والانتفاع به وتحقيق سيادته عليه. فالعلم التجريبي وما يقوم عليه من تقنية وصناعة هو المؤهل المكتسب المحقق لسيادة الإنسان في الأرض.

أما الركيزة الثانية للسيادة فسنبدأ بها الحديث في المقال القادم إن شاء الله تعالى.

- مصر لم تطبق الحدود منذ ألف سنة؛ لأن شروطها انتفت.. من شروط الحد (الشاهد العدل ووجود القاضي المجتهد)؛ ولا يوجد شاهد عدل ولا قاض مجتهد الآن!!.

أباطيل الإسلام السياسي

الأسس الفكرية للإرهاب

(٤٥)

- (البرلمان له سقف (المادة الثانية).. لا يجوز للبرلمان أن يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية، لا يجوز للبرلمان أن يبيح الشذوذ الجنسي أو الزنا أو الخنا!!. فإذا فعل، هناك المحكمة الدستورية العليا؛ تلغي القانون المخالف للشريعة الإسلامية.

بقية: هذا حكم الله

علماء الأزهر يكشفون المخطط:

١- الدكتور علي جمعة:

يقول: "البرلمان له سقف" المادة الثانية" .. لا يجوز للبرلمان أن يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية، لا يجوز للبرلمان أن يبيح الشذوذ الجنسي أو الزنا أو الخنا.

فإذا فعل، هناك المحكمة الدستورية العليا؛ تلغي القانون المخالف للشريعة الإسلامية.

لما وضعت تركيا "المجلة العدلية" قام الخديوى إسماعيل باستدعاء أئمة المذاهب الفقهية ومحمد قدرى باشا وزير الحقانية، والراوى رفاعة رافع الطهطاوى وقال لهم:

لا أريد اتباع المجلة العدلية؛ حفاظًا على استقلال مصر، ولكنى أريد اتباع الشرع.

قال قدرى باشا: أكتب لك مجلة أخرى ونختار الرأى الآخر فى المذهب الحنفى والمذهب واسع، وقال آخر: نطبق المذهب المالكى أو الشافعى.

وقال أحدهم: إن القانون الفرنسى مأخوذ من مقررات الأندلس المالكية، وكود نابليون ١ وكود نابليون ٢ مأخوذان من المالكية.

فكلف الشيخ مخلوف العدوى المنياوى "مفتى الصعيد" بمراجعة القانون الفرنسى على المذهب المالكى.

وطلب من رفاعة باشا الطهطاوى أن يكلف من عنده من يترجم القانون الفرنسى ويقدمه للشيخ مخلوف العدوى المنياوى.. فكلف مجدى باشا " وكان من أصول مكية " أن يترجم القانون الفرنسى ويعرضه على مفتى الصعيد.

وبالفعل تمت الترجمة وطبعت في مجلدين في المطبعة الأميرية.. ومقارنة الشيخ مخلوف العدوى طبعت في مجلدين تحت عنوان (المقارنات التشريعية) ووجد أن الاختلاف فى ٢٢ مسألة فقط، وبقية المسائل كلها مالكية.. ولكن نفي إسماعيل باشا فى هذا التوقيت، ومجيء توفيق باشا، والانشغال بالثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، أوقف المشروع.

فقام محمد قدرى باشا الفقيه الحنفى القدير وزير حقانية مصر المسلم بوضع تقنين على مذهب الحنفية يوازي المجلة العدلية، وظهر هذا في كتابه الكبير (الأحوال الشخصية) في أربعة مجلدات، وفي كتابه (دليل الحيران في معرفة أحوال الإنسان)، وفي كتابه (العدل والإنصاف في أحكام الأوقاف).

وصدرت هذه المجموعة سنة ١٨٨٣م، ونصت في مادتها الأولى: "هذا القانون لا

تعارض مادة فيه الشريعة الإسلامية وإلا تبطل".

وظل هذا البند موجودًا حتى سنة ١٩٠٨م حيث روجعت القوانين مرة أخرى، ورؤي - طبقًا لمحاضر الجلسات والمناقشات - رفع هذه العبارة المتعلقة بالشريعة، حيث إنه قد مضى ربع قرن من غير اعتراض أحد على أي مادة في هذا القانون.

أما الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا فقد كتب القانون المدني منفردًا على مدار ١٢ عامًا " ١٩٣٦م - ١٩٤٨م "، مستعينًا فى صياغته بـ ٢٠ تشريعًا عالميًّا أولهم الفقه الإسلامي.

عبد الرزاق السنهورى باشا كان علامة، كان فلتة زمانه ودرة مصر، وكان شاعرًا له ديوان شعر.

هل يتهم عبد الرزاق باشا بأنه كافر؟! هذا تخلف عقلي من خوارج العصر.

هؤلاء الذين كفَّروا سيدنا عليًّا كرم الله وجهه، هم نفس الأشخاص ونفس العقلية، لذلك لا بد أن يكفروا عبد الرزاق السنهورى؟!

وبعدما انتهى من كتابته عُرض على البرلمان المصرى، ولم يجدوا فيه خطأ، وبحثوا عن تعديل أو إضافة أو حذف فلم يجدوا.

د. محمد حسينى الحلفاوى

فسمعوا عن قاضٍ بمحكمة النقض ينتقد القانون، ففرحوا به جدًّا، وأتوا به، وطلبوا منه أن يظهر عيوب القانون.

فقال لهم: أنا لم أقرأ القانون ولكنى أعترض على فكرة التقنين؛ الشريعة الإسلامية لا تقنن.

هذا الشخص هو المستشار حسن الهضيبى، ومن وقتها عينه حسن البنا نائبًا له؛ لأنه يعترض على أصل القضاء فى مصر.

وعندما قبض عليه فى ١٩٥٤م سأله دفاع محمود عبد اللطيف أمام المحقق "جمال سالم" عن رأيه فى القانون المدنى والجنائى الذى كان يحكم بهما أثناء عمله قاضيًا لمدة ٢٥ عامًا.

فأجابه: بأن القانون المصرى سليم ١٠٠٪؛ إلا موضوع الـ ٥٪ على الديون "غرامة التأخير" دى ربا.

وأنه عندما تعرض عليه قضية من هذا النوع يحاول حل القضية بالتنازل الودى، أو إحالتها لقاضٍ آخر.

فرد عليه جمال سالم: كيف تحولها لقاضٍ آخر ليحكم بغير ما أنزل الله حسب قولك؟!

كان لازم تستقيل؛ حتى تتسق مع فكرك!!

وقد قام السنهورى باشا بالرد على موضوع الـ ٥ % وغيرها فى ٦ مجلدات تحت عنوان "مصادر الحق فى الفقه الإسلامى دراسة مقارنة بالفقه الغربى".

وقام السنهورى باشا أيضًا بعرض فكرة تأسيس "معهد الدراسات العربية" بجامعة الدول العربية على / عبد الرحمن عزام باشا أمين عام الجامعة؛ وذلك لإخراج المجتهد المسلم القادر على مواجهة العصر وتطوير الفقه الإسلامى وتحويله لقانون متطور.

وهذا المعهد باقٍ إلى يومنا هذا، وله مكتبة فريدة بشارع القصر العينى.

هل السنهورى باشا كافر، وأنت أيها القاتل مسلم؟!

مصر لم تطبق الحدود منذ ألف سنة؛ لأن شروطها انتفت.. من شروط الحد "الشاهد العدل ووجود القاضى المجتهد"؛ ولا يوجد شاهد عدل ولا قاض مجتهد الآن.. خلاص توقف الحدود"[1].

---

(١) "ادرءوا الحدود بالشبهات" نحن نطبق الشريعة.. مقطع على اليوتيوب.

شروح الحكم من جوامع الكلم
للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم

الأستاذ
سميح محمود قنديل

الحكمة الثانية والأربعون بعد المائة

صف قلبك بمراقبة الجبروت، تتوالى عليك لطائف اللاهوت.

فى هذه الحكمة يطلب الإمام من المريد أن يصفى قلبه بمراقبة الجبروت، وعند ذلك تتوالى عليه لطائف اللاهوت، واعلم أنّ العوالم الكلّيّة هي خمسة:

الأوّل: عالم الذات، وهو ما يطلقون عليه اللاهوت والهويّة الغيبيّة، والغيب المجهول، وغيب الغيوب، وعين الجمع، وحقيقة الحقائق، ومقام أو أدنى، وغاية الغايات، ونهاية النهايات، والأحديّة.

الثاني: عالم الصفات، وهو ما يطلقون عليه الجبروت، وبرزخ البرازخ، والبرزخيّة الأولى، ومجمع البحرين، وقاب قوسين، ومحيط الأعيان، والوحدانيّة، والعماء.

الثالث: عالم الملكوت، ويسمّونه كذلك عالم الأرواح، وعالم الأفعال، وعالم الأمر، وعالم الربوبيّة، وعالم الغيب والباطن.

الرابع: عالم المُلك، ويطلقون عليه كذلك عالم الشهادة، والعالم الظاهر، وعالم الآثار، والخَلق، والمحسوس.

الخامس: عالم الناسوت، ويطلقون عليه كذلك الكون الجامع، والعلّة الغائيّة، وآخر التنزّلات، ومَجْلَي الكلّ.

فالعوالم الثلاثة الأولى من هذه العوالم الخمسة هي ضمن عالم الغيب؛ لأنّها خارجة عن عالم الإدراك والحواسّ. وأمّا العالَمان الأخران فهما ضمن عالم الشهادة؛ لأنّهما محسوسان بالحواسّ.

وعند الإمام رضي الله عنه أن المراتب أربع: محاسبة، مراقبة، مشاهدة، رعاية. وصفاء القلب لا يكون إلا بدوام مراقبة الرب، وإنما تكون المراقبة عن وجد صادق، إذا كنت بكمالات الحق عاشقًا، والسعيد من جمله الله بمحاسبة نفسه؛ حتى ترقى إلى مقام المراقبة، ومنها حيث يكون مع الله والله تعالى معه، والمراقبة يقسمها الإمام إلى ثلاث مراتب: مراقبة مرتبتك، ومراقبة البديع، ومراقبة من أمدك بنعمه، ومن سلبت منه المراقبة سلب منه الإيمان.

جوامع الحكم

حكم عالية، ودرر غالية، أفيضت من الكتاب المسطور، والبحر المسجور، ونطق بها لسان الرق المنشور، أخذًا من البيت المعمور. سعد من فهم هذه الحكم علمًا، أو تمتع بها ذوقًا، أو سار على هديها سلوكًا؛ لأن عباراتها من بحر عرفان ونور بيان مجدد هذا الزمان.

نقدم إحدى هذه الحكم العظيمة يعقبها تعليق نسترشد به في نيل المجد الإسلامى.

والمراقبة أهم من العقيدة، لذلك نسمع الإمام ﷺ يقول: إذا كان عندك جبل من العقيدة، ولا يوجد عندك مراقبة، عملت أكبر سيئة ولا تبالى، وإذا كان عندك ذرة من المراقبة وقليل من العقيدة، ما عملت سيئة، ثم يتساءل: إذا اختفينا من الناس، هل نختفى من رب الناس؟.

ويبين الإمام ﷺ أن دوام الرقى والعلا إنما يكون بجمال الباطن، وجمال الباطن إنما يكون بدوام المراقبة، فنراه يقول: ليس الوصول تلذذًا بالأعمال وتجملًا بالأحوال، وإنما الوصول معرفتك نفسك، وعلمك مرتبتك، وتحققك بفاقتك واضطرارك له، فكم عامل بالكتاب والسنة وهو أشر على المسلمين من الجنَّة، وكم متظاهر بزى المساكين، وهو أضر عليهم من الشياطين، فجمل باطنك لمولاك يدوم رقيك وعلاك، وجمال الباطن إنما يكون بدوام مراقبة الحق تبارك وتعالى فى كل حال، وأساس ذلك كله: الرعاية التى هى علم القلوب، ومتى كان العمل بغير رعاية فلا فائدة فيه، إنما تمنح المقامات العلية بالرعاية لا بالدراية ولابالرواية، ومن هنا تأتى المقامات والمنازل والدرجات، فلا تساوى بالرعاية شيئًا.

المراقبة عند الصوفية

تعد المراقبة مقامًا من مقامات الترقي الصوفي، وقد صنفها القاشاني ﷺ ضمن باب المعاملات معرفًا إياها كالآتي:

المراقبة: وصورتها في البدايات: محافظة الجوارح من المخالفات، وفي الأبواب: مخالفة قوى النفس تحفظًا من دواعيها، وأصلها في المعاملات: مراقبة الحق للقلب على الدوام في السير إليه بين تعظيم مذهل، ومداناة حاملة وسرور باعث، ودرجتها في الأخلاق: مراقبته في تجليه لعباده بأخلاقه؛ حتى يتخلق بها، وفي الأصول: دوام ملاحظته للمقصود في القصد إليه مع حفظ الأدب معه، لقد تدرج القاشاني ﷺ في تعريف مقام المراقبة الذي يترقى فيه حسب منازل العبد، فتبدأ بالمحافظة على الجوارح من المعصية، وبعدها مخالفة النفس، وقد قال الإمام البوصيري ﷺ فيها:

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محَّضاك النصح فاتهم

لقد اعتبر الصوفية أن أصل كل مخالفة ومعصية من النفس، والانسياق لأهوائها ورعوناتها، كما جعل الإمام القاشاني أصل المراقبة في القلب الذي يداوم على مراقبة الخالق، متمثلًا الأدب والتذلل بين يدي الله عز وجل، مراعيًا حوافظ التعظيم والتقديس، ومتشبعًا بالشوق والمحبة للخالق الأعظم الذي له المنة الكبرى، ومن ثم فإن حفظ المراقبة في الجوارح، ما هو إلا صورة في الواقع للأصل الذي هو حفظها بالقلب فتنعكس إذ ذاك عليها، ولأجل هذا قال بعضهم: من راقب الله تعالى في خواطره، عصمه الله في جوارحه.

وقد عرفها الشيخ ابن عجيبة ﷺ قائلًا: المراقبة: إدامة علم العبد بإطلاع الرب، أو القيام بحقوق الله سرًّا وجهرًا خالصًا من الأوهام، صادقًا في الاحترام، وهي أصل كل خير، وبقدرها تكون المشاهدة، فمن عظمت مراقبته، عظمت بعد ذلك مشاهدته، فمراقبة أهل الظاهر: حفظ الجوارح من الهفوات، ومراقبة أهل الباطن: حفظ القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات، ومراقبة أهل باطن الباطن: حفظ السر من المساكنة إلى غير الله.

والمراقبة حال باطني يعيشه المؤمن المحسن في سريرته وسره، فقد سأل أبو العباس البغدادي جعفر بن نصير ﷺ عن المراقبة فقال: مراعاة السر لملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطرة، والسر والخطرة من دقائق الخلق الإنساني التي لا يطلع عليها إلا بارئُها، فوجب الاستدامة على مراعاة سلامتها، وفي ذلك يقول المرتعش أيضًا: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة.

ويقول الجريري ﷺ: أمرُنا هذا مبني على فصلين: وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم على ظاهرك قائمًا، وسئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات، وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات، وهو: أن لا يطالع العبد غير حده، ولا يراقب غير ربه، ولا يقارن غير وقته.

علامات المراقبة وثمارها

أما عن علامات المراقبة فيقول ذو النون المصري ﷺ: علامة المراقبة: إيثار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغَّر الله تعالى، فيكون حال العبد الذي تمثل مقام المراقبة في موافقة مع الله ظاهرًا وباطنًا، مستجيبًا مطيعًا، راضيًا بالعبودية معترفًا بالألوهية.

وعن ثمار المراقبة يقول الجنيد ﷺ: من تحقق في المراقبة، خاف فوت حظه من ربه ﷻ، إذ يدرك العبد أن كل غفلة عن الله عز وجل هي فوات الحظ مع الحق، وفي هذا الإدراك قمة الحضور مع الله في كل سكنة وحركة، فيستحي العبد من مخالفة الطاعات، وإتيان المعاصي، ومن ثمة يغدو مدركًا لحقائق التشريع، وفي هذا قال النصرآباذى ﷺ: الرجاء يحرك إلى الطاعات، والخوف يبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤديك إلى طرق الحقائق، وقال إبراهيم الخواص ﷺ: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

وقد حث الصوفية على التزام المراقبة في سلوكهم لما أدركوا ما لها من جليل الثمار، فيقول أبو حفص ﷺ: إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك، والسبيل للوصول إلى مقام المراقبة هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم، والتزام ذكر الله عز وجل، إذ به تنمحي الأغيار والأكدار، وتنجلي الهبات والأسرار، ومقام المراقبة هبة يكرم بها الله عز وجل من نشد مقام القرب والجوار، وقد قال أحمد بن عطاء ﷺ: خيركم من راقب الحق بالحق في فناء ما دون الحق، وتابع المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في أفعاله وأخلاقه وآدابه.

الفرق بين الإيتاء والإعطاء وبيان الهداية والتوبة (٢)

❁ **إن من علامات قبول التوبة أن يتحقق التائب بالرضا عن قدَر الله تعالى ولو كانت المعصية أكبر كبيرة، وأن يكون غضبه وسخطه على نفسه التي ارتكبت الخطيئة.**

❁ **من تاب وندم وغضب وسخط ولم يرض عن الله فيما قدّر الله فغضبه على الله أكبر من خطيئته، ويجب عليه أن يتوب من توبته، فإن توبته مشوبة بشرك خفي عليه.**

❁ **إن العلماء الراسخين يرون أنفاسهم في غير شهود وحضور ومراقبة، ذنبًا، ويرون أنهم إذا لم يعاملوا الله في كل أعمالهم ومعاملاتهم، أخطأوا، فهم دائمًا في توبة إلى الله تعالى.**

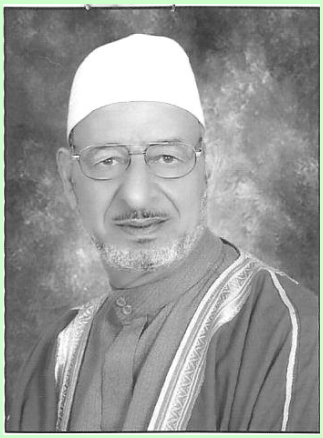

فضيلة الشيخ قنديل عبد الهادى

خطاب للأرواح

في إشارة للإمام أبي العزائم يخاطب الأرواح: أن من علامات قبول التوبة أن يتحقق التائب بالرضا عن قَدَر الله تعالى ولو كانت المعصية أكبر كبيرة، وأن يكون غضبه وسخطه على نفسه التي ارتكبت الخطيئة.

وهنا أجيب من ذاقوا حلاوة التوحيد إذا جاش بخلدهم: كيف يمقت الإنسان نفسه على عمل الخطيئة والفاعل المختار هو الله؟.

فأجيبه: إن الفاعل المختار المقدِّر هو الله تعالى، ولكن مقت النفس على تقدير الله إياها أن تكون مظهرًا لمعاصيه وأن يجعل المعاصي سببًا قائمًا لمساخط الله ومغاضبه، وهنا يثلج الصدر، ويطمئن القلب، وتقوم الحجة على قبول الله تعالى توبة التائب.

أما من تاب وندم وغضب وسخط ولم يرض عن الله فيما قدّر الله فغضبه على الله أكبر من خطيئته؛ ويجب عليه أن يتوب من توبته؛ فإن توبته مشوبة بشرك خفي عليه.

إشارة إلى جذب العواطف

وفي قول الله تعالى: ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤) إشارة إلى جذب العواطف، فإن البارئ هو الذي خلق الإنسان على أحسن صورة، كما قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ﴾ (طه: ٩٤)، ولم يقل: يا أخي؛ ولا: يا رسول الله؛ لأن الأخوة والرسالة لا تقتضي الرحمة ولا عطف القلوب، فكذلك قوله: ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ أي: توبوا إلى من جمَّلكم بالنعم الغزيرة العظيمة.

فمِن معاني خَلَق: أوجد الشيء من العدم، وبَرَأ: سواه على أحسن التقويم، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (الأعلى: ٢)، فمعنى ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ أي: إلى خالقكم خلقًا مُسَوًّى.

﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ والفاء هنا للترتيب مع التعقيب؛ أي: إذا حصلت منكم التوبة القلبية وتيقنتم قبول الله لها؛ فاقتلوا أنفسكم تكملة لشروط التوبة.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الإشارة من الله تعالى المفيدة للبعد لم تكن لبعد الزمان ولا المكان، ولكن البعد هنا شدة وقع الأمر على أنفسهم، وتوقع الضرر على أبدانهم.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بالنسبة لما ينالونه من مغفرة الله لهم، ومن تبديل الله سيآتهم حسنات، وربما كان هناك تنزل بالحنان الإلهي فيكون الرضوان عنهم من هذا الخير.

﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤) يعني أن الخير يكون لهم عند بارئهم سبحانه الذي أوجدهم وأمدهم، وقوله تعالى: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ إشارة إلى التنزل بالاسم الجمالي الذي به إيجاد العالم وتسخيره للإنسان، لتحصل عاطفة القلوب والطمع في نيل هذا الخير.

معنى قتل بني إسرائيل أنفسهم

يبين الشيخ العقاد في تفسيره أن قتل النفس من حيث الظاهر إزهاق الرُّوح ومفارقة الحياة الدنيا، وتحتمل الآية أن يكون القتل حِسِّيًّا؛ بمعنى أن من لم يعبد العجل يأخذ السيف ويقتل مَن عبد العجل، ويكون ذلك هو الطهارة من نجاسة الكفر.

ويجوز أن يكون القتل معنويًّا؛ وهو منع النفس عن شهواتها وحظوظها، وتضييق الخناق عليها؛ حتى تُقتل فتحيا الرُّوح ويشرق النور في الهيكل.

وإنما قال: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ولم يقل: إلى الرحيم أو الرحمن؛ لأن البارئ هو الذي خلق هذا الهيكل بتركيبه العجيب، ومن

شاهد هذا الهيكل تذكر الخلاق الحكيم الذي أبدع هذه الصور المتباينة وألبسها حلل الجمال، وكلفها ألا تخضع إلا لجنابه العليّ، فكيف تعبد جمادًا لا ينفع ولا يضر؟...

وقد قال رجل: يا رب افتح لي بابك، فقال له بعض العارفين: متى أغلق مولاك بابه؟، فهو مفتوح في كل الأنفاس، ولكن؛ افتح باب قلبك وارجع إلى ربك بالإخلاص والصدق.

وقد ذكر الإمام أبو العزائم في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤)، معناه: أنهم قتلوا أنفسهم كما أمرهم ربهم، فتاب عليهم أي: قبلهم ربهم، ومعنى قتلهم أنفسهم أن الذين عكفوا على العجل جلسوا مستعدين لقتلهم، ووقف الذين حافظوا على الإيمان مع هارون عليه السلام وبأيديهم الخناجر وعلتهم ظلمة؛ حتى صاروا لا يرى بعضهم بعضًا، فقتلوا أنفسهم بالفعل؛ حتى تداركهم الله بالعفو، فأمر برفع القتل بعد أن قتل منهم سبعون ألفًا.

وعند الألوسي: نعمة أخروية في حق المقتولين من بني إسرائيل حيث نالوا درجة الشهداء، كما أن العفو نعمة دنيوية في حق الباقين.

وأورد ابن عاشور: ومن الناس من حمل الأمر بقتل النفس هنا على معنى القتل المجازي وهو التذليل والقهر...

وعن القشيري: وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حوْلها وقوتها أو شهود شيءٍ منها، ورد دعواها إليها، وتشويش تدبيرها عليها، وتسليم الأمور إلى الحق سبحانه بجملتها، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها، وانمحاء آثار البشرية عنها، فأمَّا بقاء الرسوم والهياكل فلا خطرَ له ولا عبرةَ به.

ويقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

لو قيل: بح باسم من تهواه يا ماضي
لذبت بل وجوابي كان إعراضي
مهلًا فإن الذي أهواه متعني
بمشهد الصفو حتى نلت أغراضي
وصار موتي فيه منتهى أملي
ولذَّ لي فيه تعذيبي وأمراضي

العقل محجوب عن الإشراف على سر القدر

وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤)، أكد الخبر بـ: "إنَّ"؛ لأن العقل لا يدرك حقيقة معنى التواب ولا الرحيم، لأن لفظة تواب مبالغة في قبول التوبة ولكنها ليست مبالغة في أسماء الله تعالى، فالتواب اسم من أسماء الله تعالى.

ويطلق هذا اللفظ ويراد منه: كثير التوبة من الذنوب إلى الله تعالى، فإن العلماء الراسخين يرون أنفاسهم في غير شهود وحضور ومراقبة؛ ذنبًا، ويرون أنهم إذا لم يعاملوا الله في كل أعمالهم ومعاملاتهم؛ أخطأوا، فهم دائمًا في توبة إلى الله تعالى لنظرهم كثرة خطاياهم؛ لدوام مواجهتهم عظمة الله وكبرياءه، ولاعتقادهم العجز عن التقوى رعاية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

والعقل محجوب عن الإشراف على سر القدر، فلا يتصور بل ولا يتمثل وسعة الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، فأتى بحرف التوكيد ليتقبل العقل هذا الخبر مسلمًا، وقد تقدم بيان التوبة.

﴿الرَّحِيمُ﴾ اسم من أسماء الله تعالى معناه: الذي يمنح المؤمنين يوم القيامة الخير الذي يليق بكمال عطفه وحنانه سبحانه.

العارفون يتوبون من التوبة

وفي إشارة للإمام أبي العزائم في هذا السياق من تفسيره أن هنا تحسن الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ (البقرة: ٥٤)، إذ يقتضي أن كل مخالف للشريعة في قول أو عمل أو حال ظلم نفسه، والواجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى بقدر ظلمه لنفسه.

وأسرع الناس إلى التوبة أهل المعرفة بالله تعالى الربانيون الراسخون في العلم؛ لأن الهفوة عندهم كأكبر كبيرة عند الجاهلين بالله، لأنهم يعلمون حق العلم مَن يواجهونه بهفواتهم.

كما يعتقد أهل الجهالة لاحتجابهم عن شهود ربهم أن الكبائر ليست شيئًا مذكورًا، ولذلك يقال: إن الصغيرة عند المواجهين كبيرة، بل ربما كان أرجى عمل يقرب إلى الله هو عندهم من الكبائر لخوفهم أن يشوب العمل شرك خفيّ أو أخفى، وكم يتوب العارفون من التوبة بعد استيفاء شروطها الشرعية، وخوفًا من تسرب الشرك إلى القلوب من حيث لا يعلم، قال ﷺ: (يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ الشِّرْكَ لَيَجْرِي فِي ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ).

فما تقول في رجل يرى دناءته وحقارته بعين اليقين؟، ويرى الفاعل المختار هو الله؟، ويرى أن الله الكبير المتعال تنزل لنا بسوابغ نعمائه وجميل آلائه فضلًا منه وإحسانًا؟، ويرى أن الطاعة والقربات نعمى عظمى تعين على الشكر؟، ويرى أن الشكر من أعظم النعم عليه؛ فيشكر الله على الشكر؟.

فلم يبق إلا العجز عن الشكر؛ وهو الشكر، وهم العبيد الذين عند ربهم، كما قال ﷺ: (يقولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِندَ المنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي)، يقول الإمام في قصيدة له:

إن كان شكرك فرضًا
فمَن يقوم بشكرك
أنت الشكورُ إلهي
بالفضل وفِّقْ لذكرك
الشاكرون عبادٌ
لن يدركوا سِرَّ قدرك
وشكرُهم لك نُعمى
وَالْتُهُمُو مِن خيرك

إلى أن يقول:

إنا عجزنا جميعًا
عن أن نقوم بشكرك
والعجزُ حمدٌ وشكرٌ
والعبدُ قد صار يُدرك

حين فهم الأولون معني (الوطن) ٢/٢

فأنتجوا فكراً إسلامياً مستنيراً!

د. رفعت سيد أحمد

مساهمة رفاعة رافع الطهطاوي

لقد تناول العالم الأزهري الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣م) إشكالية الوطنية في المجتمع المصري بشكل مختلف نسبيًا عمن تلاه، حيث يعود ذلك ضمن أسباب عديدة إلى عدم بروز التناقض بين النموذج الإسلامي، والنموذج الوطني والمستمد فيما بعد من "فكرة الوطنية" كما استقرت في الفقه الغربي حين ربط الانتماء بأرض الوطن، وليس بالعقيدة، كما كان سائدًا في الفقه الإسلامي وقتذاك، نقول: هذا التناقض لم يكن بارزًا لهذا السبب، وأيضًا بسبب وجود دولة إسلامية (وطنية) قوية يخشاها الغرب وقتئذٍ، دولة محمد علي، وعليه لم تكن القضية مطروحة بنفس الإلحاح الذي عاصرته إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو ما يتضح في فكر الطهطاوي الذي تعرض لها من خلال تأكيده أن "الوطنية" لا تتنافى مع الإطار الإسلامي ومع الفهم الصحيح للإسلام خاصة إذا كان هذا الفهم خاليًا من التعصب، ومن إجبار الملوك لرعاياهم على تبديل عقائدهم الدينية – تحت دعوى التعصب للدين، وذلك لأنه وفقًا لقوله: "إن الملوك اذا تعصبوا لدينهم وتداخلوا في قضايا الأديان وأرادوا قلب عقائد رعاياهم المخالفين لهم، فإنهم يحملون رعاياهم على النفاق، ويستعبدون من يكرهونه على تبديل عقيدته، وينزعون الحرية عنه، فلا يوافق الباطن الظاهر، فمحض تعصب الإنسان لدينه لإضرار غيره، لا يُعد الا مجرد حمية، وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب والمرغوب" (رفاعة رافع الطهطاوي، كتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، الفصل الثالث في د. محمد عمارة الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، ج١١ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢م، ص٥٥٦).

والطهطاوي في هذا يدلل على تأثره بالنموذج الغربي، وإدراكه للقضية على أنها تأتي في سياق صراع بين فكرية العصور الوسطى الإسلامية، والتي ترفض فكرة الوطن والوطنية كما أشيع وقتئذٍ في أوساط المتغربين، وبين فكرية النموذج الغربي، ولعل هذا ما دفع بعضهم إلى أن يصفه بأنه "أحد أقطاب فكرة الوطنية وأركان النهضة العربية وإمامها في مصر" (عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد (الإسكندرية) مطبعة صلاح الدين ١٩٣٤م، ص: ٤٧).

وبأنه "كان بحق أول من مزج الثقافتين الغربية والشرقية". وعليه يعد رفاعة رافع الطهطاوي بهذا أول من اقترب بشكل واضح من إشكالية الوطنية وما ارتبط بها من قضايا مثل: الدين وعلاقته بالدولة وبالمجتمع المدني، وهو أول من تناول هذه الإشكالية بعد أستاذه الشيخ حسن العطار، الذي نصحه بمقولته الشهيرة: "إن بلادنا لا بد من أن تتغير، وأن يتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها"، وتمثَّل هذا الاقتراب من رفاعة رافع الطهطاوي في مؤلفه الشهير: "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي وضعه بعد رحلته الى فرنسا عام ١٨٢٦ – ١٨٣١م، وتمثَّل أيضًا في ترجماته الشهيرة عن التشريعات والعلوم والقوانين الغربية والفرنسية منها على وجه الخصوص، بهدف تأكيد وترسيخ مفهوم الوطنية كما فهمه.

وحاول الطهطاوي في كل هذا أن يوجد تيار التوفيقية الفكرية بين النموذجين الغربي والإسلامي بشأن هذه الإشكالية "الوطنية" وغيرها من الإشكاليات، وبهذا يكون – وهو عندما يعجب بالنمط الأوروبي ويدعو إلى أن نبدأ من حيث انتهت أوروبا لا يغلف دعوته هذه أو يداريها، فهو يريد "أن يوقظ سائر بلاد الإسلام من نوم الغفلة كي يبحثوا عن العلوم البرانية والفنون والصنائع، وهي التي كمالها ببلاد الإفرنج ثابت شائع، والحق أحق أن يتبع".

والملاحظ على الطهطاوي أن ترجمته للقوانين الأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص، لكي يرسخ مفهوم الوطنية كما فهمه في الغرب، لم يجعله يغفل عما في التراث الإسلامي من فقه في المعاملات جدير بأن "نحييه ونطوع قواعده لظروف الزمان والمكان وما جملت من تجدد في المصالح وتغيرات في العادات والأعراف" (رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز، المقالة الثالثة، الفصل الثالث عشر، مصدر، ص: ١١٤).

(الوطن) في مساهمة الثورة العرابية

يرى بعض المثقفين بشأن الثورة العرابية أن "العرابيين لم يكونوا يعرفون ماذا يريدون، أو على الأصح كانت ورطتهم أنهم كانوا يريدون أشياء متناقضة، كانوا من جهة يريدون (مصر للمصريين) أي يريدون القومية، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يقبلون بالتبعية للثيوقراطية العثمانية، بعبارة أخرى كانوا في علاقاتهم بالخليفة السلطان العثماني، يقبلون الخليفة ولكن يرفضون السلطان، وبالمثل فبينما نجد أنهم كانوا يطلبون الحياة الديمقراطية الدستورية فقد منعهم تكوينهم النفسي المحافظ من إدراك أن الديمقراطية والدستورية هما في الأساس منتوجات أوروبية مؤسسة على نظرية الحق الطبيعي، وليس لها جذور في التراث الثيوقراطي التقليدي".

ثم يصل هذا الرأي إلى نتيجة مؤداها أنه "حتى لو انتصر العرابيون فإن حيرتهم كانت كفيلة بتبديد طاقتهم دون جدوى بسبب عدم وضوح إدراكهم للاتجاه الصحيح، وأن مشكلتهم الحقيقية لم تكن موقفهم من الجيوش الغربية ولكن موقفهم من القيم الغربية" (د. لويس عوض، قصة العلمانية في مصر، المصور، العدد ٣٠٧٦ بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٣م).

بيد أن هذا الرأي يُساق بشأنه العديد من التحفظات: أهمها، إغفاله للسياق الاجتماعي والسياسي الذي قامت فيه الثورة العرابية، والذي تمثل بوجود مجتمع يواجه بتحدٍ غربي على المستوى الحضاري والعسكري معًا، وبعملية تغريب من قِبَل الخديوي لمجمل المؤسسات والنظم والقيم السائدة، بالإضافة إلى هذا فإن الرأي السابق يتبنى المفهوم الأوروبي للعلمانية وللثيوقراطية ويطبقه على المجتمع المصري عام ١٨٨٢م، دونما إمعان للفهم في اختلاف البيئتين حضاريًّا وسياسيًّا، والاقتصار على ظاهر الأمور، فكان منطقيًّا أن يصل إلى نتائجه السابقة.

ووضعنا لقضية ثيوقراطية الثورة العرابية في إطارها الصحيح وفي مواجهة الرأي السابق أيضًا، يرى آخرون أن أحمد عرابي حاول ما لم ننتبه إليه حتى الآن وهو أن يقوم بثورة وطنية في مصر، وفي الوقت نفسه المحافظة على الوحدة الإسلامية سواء سميت الخلافة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية أو الجامعة الشرقية.

إن أحمد عرابي (١٨٤١ – ١٩١١م) بهذا المعنى حاول أن يؤكد ثنائية الدور الذي قامت من أجله ثورته، فهي ثورة وطنية تسعى لتحقيق أهداف ومطالب سياسية داخلية بالأساس، وهي ثورة تهدف لتأكيد البعد الإسلامي الحضاري، (يتضح ذلك مليًّا في قراءة وتأمل:

١٥- مذكرات عرابي، كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية في عامي ١٢٩٨و١٢٩٩ الهجريين وفي ١٨٨١ و١٨٨٢ الميلاديين، الجزء الأول (القاهرة – دار الهلال)، وهو ما استعصى على فهم بعض ممن يخضعون تاريخهم لمناهج البحث الغربي القاصرة، ولأن موقف الثورة العرابية، أتى في إطار عمليات طرح النموذج الغربي في مواجهة النموذج الإسلامي، فلقد أحدث ردود أفعال مختلفة تراوحت بين قبوله والسير في ركابه، أو مهادنته وانتظار نتائجه أو رفضه كلية.

ولعل في موقف رجال الأزهر من الثورة العرابية ما يفيد في تقويم مساهمتها في إشكالية الوطنية تلك، وهو الموقف الذي تراوح بين:

فريق أول: يمثله بعض مشايخ الأزهر الذين ساروا في طريق الثورة، وأفتى أحدهم "بأنه لا يصح أن يكون توفيق حاكمًا للمسلمين بعد أن باع مصر للأجانب باتباع ما يشير به عليه القنصلان، ولذلك وجب عزله.. وأن مصر تؤيد عرابي". كما أفتى الشيخ حسن العدوي، بشرعية عصيان الخديوي فقال: "إنه بأمر الله ورسوله لن تطاع أوامر الخديوي، وإن الوقت قد حان لنشوب حرب مقدسة".

إن أحمد عرابي (١٨٤١ ـ ١٩١١م) حاول أن يؤكد ثنائية الدور الذي قامت من أجله ثورته، فهي ثورة وطنية تسعى لتحقيق أهداف ومطالب سياسية داخلية بالأساس، وهي ثورة تهدف لتأكيد البعد الإسلامي الحضاري.

وفريق ثانٍ: رفض الثورة كلية وتهادن مع الخديوي والإنجليز وكان على رأسه الشيخ محمد العباس، والشيخ حمزة فتح الله، وازدادت قوة هذا الفريق بعد استصدار الإنجليز من السلطان العثماني فتوى تقول بعصيان أحمد عرابي له، والتي مثلت قمة التوتر بين عرابي والسلطان، والتي قضت بالضرورة على مقولة ولائه المطلق للسلطان العثماني، أو تناقضه تجاه سلطانه ومتطلبات ثورته الوطنية.

أما الفريق الثالث: فقد توسط الفريقين وتريث قليلًا في موقفه من الثورة العرابية وإن انحاز إليه ومثل هذا الفريق الشيخ محمد عبده، وعلي مبارك، وهكذا أتت مساهمة الثورة العرابية في إشكالية الوطنية لتنتج آثارًا تجاوزت الزمن الذي وقعت فيه الثورة، وأضحت مثالًا مهمًّا وإيجابيًّا في فهم قيمة (الوطن) لدي كل الثورات التي تلت ثورة عرابي الوطنية المجيدة ... والحديث متواصل.

تهاني

*** يهنئ شيخ الطريقة العزمية**

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم كلاًّ من:

* الأخ الأستاذ نجيب محمد راغب رئيس مجلس إدارة جمعية آل العزائم بإيتاي البارود، والأخ الأستاذ يسري دعميش مدير الجمعية، والإخوة أعضاء مجلس الإدارة، وذلك لحصول الجمعية على شهادة أفضل جمعية على مستوى جمعيات محافظة البحيرة. وقد تسلم الشهادة الأستاذ نجيب راغب من السيدة محافظ البحيرة د. نهال بلبلع، واللواء محمد شوقي بدر سكرتير عام المحافظة، والسيدة فايزة زايد وكيل وزارة التضامن بالبحيرة.

* الأخ الأستاذ فوزي عبدالرازق محمود بزفاف نجله الكابتن أحمد على شهندا المتولي الزكي، وكذلك زفاف كريمته أسماء للأستاذ محمد أمين محمود قنديل.. بالشعيرة- إيتاي البارود- بحيرة.

سائلا الله تعالى دوام السعادة والهناء، والتوفيق والسداد، والبركة فى الأولاد، و الوسعة فى الأخلاق والأرزاق.

دعوة عامة

- إن تمت الموافقة الأمنية -

يتقدم شيخ الطريقة العزمية بدعوة جميع أبناء الطريقة العزمية ومحبي آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ للاحتفالات التالية:

١- مولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام يوم الجمعة ٥ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠٢٣م.

٢- مولد الإمام عليّ بن أبى طالب عليه السلام يوم السبت ١٣ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ٤ فبراير ٢٠٢٣م.

٣- الاحتفال بمولد السيدة زينب الكبرى عليها السلام ومولد السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام يوم الخميس ٢٥ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٦ فبراير ٢٠٢٣م.

٤- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج يوم الجمعة ٢٦ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٢٣م.

٥- الاحتفال بمولد الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم رضي الله عنه يوم السبت ٢٧ رجب ١٤٤٤هـ الموافق ١٨ فبراير ٢٠٢٣م.

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي صدق الله العظيم

*** ويحتسب شيخ الطريقة العزمية عند الله تعالى كلاًّ من:**

* السيد اللواء خالد سالم شقيق العميد محمود سالم والمقدم حازم سالم.. بالإسكندرية.

* الأستاذ يوسف عبد الوهاب شقيق الأخ الفاضل المهندس محمد عبد الوهاب.. بالإسكندرية.

* الحاجة عطيات رشاد السايح زوجة المرحوم الأخ إبراهيم عثمان، ووالدة كل من: أشرف ومجدي وحمادة ورشاد ومدحت.. بالحامول – كفر الشيخ.

* فقيد الشباب أحمد فؤاد نجل الأخ الفاضل فؤاد عجمي جزر.. بالإسكندرية.

سائلاً الله تعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته، وأن يسكنهم فسيح جناته، ولأهلهم خالص العزاء.

قصيدة (السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام)

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم رضي الله عنه

يَـا كَنْـزَ جَـوْهَرَةِ الرِّضْـوَانِ وَالْفَضْـلِ ... وَشَمْسَ قُدْسٍ أَضَـاءَتْ ظُلْمَـةَ الْجَهْلِ
يَـــا أُمَّ سَـــيِّدِ رُسْـــلِ اللهِ أَجْمَعِهِـــمْ ... وَكَنْـــزَ دُرَّتِـــهِ الْعَصْـــمَاءَ بِـــالطَّوْلِ
يَـا أُفْقَ شَمْسِ الْهُدَىٰ لِلْعَـالَمِينَ بِهَـا ... قَدْ أَشْرَقَ النُّورُ لِلظُّلْمَـاتِ قَدْ يُجْلِي
قَـدْ جَـاءَ مُسْـتَجْدِيًا مِـنْ فَضْـلِ آمِنَـةٍ ... أُمِّ النَّبِـــيِّ إِمَـــامِ الْكُـــلِّ فِـــي الْكُـــلِّ
أَنْـتِ النَّجَـاةُ لِكُـلِّ الْخَلْـقِ أَجْمَعِهِـمْ ... أَنْجَيْتِ بِالْمُصْطَفَىٰ أَعْلَىٰ مِنَ السُّفْلِ
يَـــا رَوْضَ آمِنَـــةٍ فَـــاخَرْتَ مَكْرُمَـــةً ... عَرْشًا مُحِيطًا بِمَا أُولِيتَ مِنْ فَضْلِ
فِيـكَ الْعِنَايَـةُ وَالْخَيْـرُ الْعَظِـيمُ نَعَـمْ ... أُمُّ النَّبِـــيِّ إِمَـــامِ أَئِمَـــةِ الرُّسْـــلِ
رَوْضٌ بِـــهِ مَـــنَحَ الـــرَّحْمَٰنُ رَحْمَتَـــهُ ... وَأَشْرَقَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْبَعْدِ وَالْقَبْلِ
يَـا كَنْـزَ لُؤْلُـؤَةٍ قَـدْ صَـاغَهَا كَرَمًـا ... مِـنْ نُـورِهِ رَبُّنَـا بِـالطَّوْلِ وَالْحَـوْلِ
فِـي رَوْضِ آمِنَـةٍ أَدْعُـو وَلِـي أَمَـلٌ ... فِـي نَيْلِ مَـا أَرْتَجِي بِالْقَلْـبِ وَالْقَـوْلِ
فَـوْقَ الْجِنَـانِ نَعَـمْ رَوْضٌ أَلَاحَ ضِـيَا ... قُـدْسِ الْجَلَالَـةِ بِـالأَحْوَالِ وَالْفِعْـلِ
بَلْ فَوْقَ مَقْعَدِ صِدْقٍ لَوْ شَـهِدْتُ ضِيَا ... أَنْـــوَارِ آمِنَـــةٍ تُجْلَـــىٰ بِـــلَا ظِـــلِّ
أُمُّ الْحَبِيـــبِ الْمُرَجَّـــىٰ كَنْـــزُ دُرَّتِـــهِ ... وَهْـيَ النَّجَـاةُ لَنَـا مِـنْ قَـادِحِ الْهَـوْلِ
يَـا كَنْـزَ شَـمْسِ الْهُـدَىٰ وُدًّا وَعَاطِفَـةً ... لِلْمُجْتَدِي مَنْ أَتَـىٰ أَرْجُـو عَطَـا أَصْلِي
أَوْلَيْـتِ لِلْمَـلإِ الأَعْلَـى الأَمَـانَ وَلِـي ... مِنْـكِ انْتِظَـامِي بِعِقْـدِ أَحِبَّتِـي أَهْلِـي
لِي مَقْصَدٌ كَنْزَ شَمْسِ الْمُصْطَفَىٰ كَرَمًا ... لِلْمُجْتَـدِي نَظْـرَةَ الإِحْسَـانِ بِالنَّيْـلِ
أَنْـتِ الْوَسِـيلَةُ لِلْهَـادِي أَنَـالُ بِهَـا ... كُلَّ الْقُصُـودِ مِـنَ الْقُرْبَـىٰ مِـنَ الطَّـوْلِ
فِـي طَيْبَـةٍ أَتَهَنَّـىٰ بِـالْقَبُولِ بِهَـا ... أَحْيَـا أَمُـوتُ بِهَـا فِـي حُظْـوَةِ الْوَصْلِ
يَـا سَـيِّدِي يَـا شَـفِيعَ الْمُـذْنِبِينَ أَتَـىٰ ... عَبْـدٌ بِآمِنَـةٍ يَرْجُـو الصَّـفَا الْكُلِّـي
وَهْـيَ الْوَسِـيلَةُ لِـي حَاشَـا أُرَدُّ وَلِـي ... مِنْهَـا عَطَـاءٌ بِفَضْـلٍ مِنْـكَ قَـدْ يُـولِي